لقاء
قلب حاج
اللقاء الأول الفترة (١)
الثلاثاء
٦-١٢-١٤٣٠هـ

بسم الله الرّحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- ✓ منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- ✓ هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- ✓ الكمال لله –عزَّ وجلَّ–، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، الحمد لله الذي يسّر لنا هذا اللقاء ونسأله-سبحانه وتعالى-أن يجعله مباركًا مرحومًا. اللهم آمين.

لقاؤنا بعنوان: (قلب حاج)، وهذا الأمر الذي هو **قلبك** لابد أن تفهم أنه مقصد الشريعة، فالشريعة لما شرعت لك الشرائع ما قصدت إلا قلبك؛ ولذلك الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-يقول: ((إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))[1]، ثم الحديث المشهور: ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّه))[2].

على ذلك أصل عباداتك مقصدها قلبك، أي: العبادات شرِّعت من أجل أن يحيا قلبك، والله-عزَّ وجلَّ-في كتابه ضرب أمثلة متعددة لحال قلبك، وسيكون مرورنا على الأمثلة التي ضربت في كتاب الله لإحياء قلبك:

- مثلًا: في سورة النور قال الله-عزَّ وجلَّ-: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[3] هذا كله مثل يدور حول قلبك.
- في سورة الرعد قال الله-عزَّ وجلَّ-: {أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ}[4] هذا أيضًا مثال مضروب لقلبك.
- في سورة إبراهيم مثل الكلمة الطيبة، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء}[5] أيضا هذا مضروب لقلبك.

وترى عجبًا في الكلام عن القلوب، سواء كان في كتاب الله أو في سنَّة الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-، فالنجاة كلها دائرة حول قلبك، قال تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}[1].

---

(1) "صحيح مسلم" (كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ/ بَاب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ/ 2564).

(2) "صحيح البخاري" (كِتَاب الْإِيمَانِ/ بَاب فَضْلِ مَنْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ/ 52).

(3) [سورة النور: 35]

(4) [سورة الرعد: 17]

(5) [سورة إبراهيم: 24]

فالمطلوب منك أن تُقبل على الله وقلبك سليم، أن تُقبل على الله وقلبك منيب، أن تُقبل على الله وأنت تعلم أنه سيحاسبك على ما قام في قلبك؛ ولذلك حذّرك بقوله: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ}[2] هذا كله إشارة إلى أنّ الذي يصلحك هو قلبك، والذي يفسدك هو قلبك؛ ولذلك أصلح الله قلبك بما شرع من شرائع، فإذا أتيت الحج وخرجت منه وقلبك ما وقع فيه مراد الله ستدخل في ما قاله أهل العلم: (**الركب كثير لكن الحاج قليل**) أي: أن الناس الذين ركبوا من أجل أن يحجوا عددهم كثير، لكن الذين حجّوا على الحقيقة قليل، كلهم طافوا وسعوا وذهبوا لعرفة ومزدلفة ومنى وعادوا، ما الفوارق بينهم؟ **القبول على ما قام في القلب**.

فلا تتصور أن الناس يتساوون ولو كانوا في ظاهر العمل متفقين، فالرجل يصلي بجانب الرجل والفوارق بينهما كما بين السماء والأرض، والسبب قلبه!

في سورة البقرة قال تعالى: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا} ثم أخبر الله-عزَّ وجلَّ-عن نفسه باسمين: {شَاكِرٌ عَلِيمٌ}[3]:

- **(شاكر)**: أي أنه يشكر، يعطي على العمل القليل الأجر الكثير، والصفا والمروة مكان يقوم الحجاج فيها بشعائر، هل كلهم سيشكرهم الله؟
- **(عليم)**: بمن يستحق أن يشكره الله، عليم بمن يستحق أن يضاعف له الأجر.

وقال الله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ} الكلام في سورة البقرة حول المنفقين، لما مثّل الله حال الذي ينفق بحبة أنبتت سبع سنابل، ثم سمّى الله-عزَّ وجلَّ-نفسه باسمين: {وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[4]:

- **(واسع)**: أي واسع الرحمة والعطاء والأجور والمضاعفة.
- **(عليم)**: عليم من يستحقّ أن يُعامل باسم (الواسع)، عليم بمن يستحق أن يُعامل باسم (الشاكر).

فمضاعفة الأجور ورفع الدرجات بالأعمال لا تكون لكل أحد، إنما الله يعلم من يستحق الأجر والمضاعفة، **على ماذا سيكون الأجر؟** على قدر ما قام في قلبك.

---

(1) [سورة الشعراء: 88، 89]
(2) [سورة البقرة: 235]
(3) [سورة البقرة: 158]
(4) [سورة البقرة: 261]

كيف أكتشف أنّ قلبي حقيقة قلب حاج سيقبله الله؟ أو قلبي لا يصلح أن يكون بهذه المثابة ويكون الأجر المترتب على العمل المضاعفة؟

نضع سورة الحج أمام أعيننا، تأمّل سورة الحج جيدًا لأنها ما سميت بهذا الاسم إلا من المؤكد لها علاقة بالحج، وسترى عجبًا من مخاطبة القلوب، سأمُرّ سريعًا ثم أصل لمقصدي مباشرة.

فرّق الله في أول سورة الحج بين الناس.

أول الأمر: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ}[1] الأمر بالتقوى، ثم أخبرك خبرًا هو الذي يحرّك في قلبك التقوى، وهو الكلام عن الإيمان باليوم الآخر؛ لذلك في سورة البقرة يقول تعالى: {الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}[2] صحيح أتت آية أنه هدى لكل الناس لكن ما ينتفع بالقرآن إلا من كان متّقيًا.

صِف المتقين في سورة البقرة؟

{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}[3] (الآخرة) أليست من أركان الإيمان بالغيب؟ لماذا نُصّ عليها نصًا؟ أول وصف لهم أنهم يؤمنون بالغيب، ومن الإيمان بالغيب: الإيمان بالملائكة والرسل واليوم الآخر، فاليوم الآخر من ضمن الإيمان بالغيب لكن نُصّ عليه نصًا لأنه هو الذي يحرك التقوى في القلوب.

فلما أمرهم في أول الحج بالتقوى أخبرهم ماذا يحركهم للتقوى: إيمانهم أنهم سيلاقون ربهم ما بينهم وبينه ترجمان، سيسألهم ويكلمهم، فحقيقة الإيمان باليوم الآخر لابد أن تحرك بالقلب الاستعداد لليوم الآخر.

لكن ما أحوال الناس تجاه الإيمان باليوم الآخر؟

1. **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ}**
2. **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ}**
3. **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ}**

---

(1) [سورة الحج: 1]
(2) [سورة البقرة: 1،2]
(3) [سورة البقرة: 1-4]

انظر للآية الثالثة: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ}[1] هذا **صنف من الناس**، حاله أنه كلَّما أتاه عن الله خبر وعن أوامره ومحبوباته، فاقد للتقوى ولذلك يجادل، هل يجادل وهو معه علم أو مجرد مقلد لأحد؟ الجواب: مجرد مقلد لأن الله تعالى قال: {وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ} ما عنده علم لكن يقتدي بالضُلال.

هذا الصنف لا تتمكن التقوى من قلوبهم، والتقوى إذا وُجدت في القلب كان هذا العبد ممن رفعه الله، لكن أحد الذين يمانعون التقوى هم الذين ابتلوا بالجدال؛ ولذلك أهم الأشياء الممنوعة في الحج كثرة الجدل خصوصًا عندما ما يكون عندك علم، ويأتيك أحد يعلمك لأن عندك هوى فتعارض الأوامر الشرعية بقلَّة تقوى، فلا تسأل عن قلب فقد التقوى كيف تكون قوة مجادلته! هذا أول صنف، وهذا الصنف في الحج منه كثير لأنك ستأتيك الأوامر والنواهي.

فأنت جئت الحج من أجل: {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ}[2] هذه علة الحج، أتى الله بكم من كل الأرض لتشهدوا منافع، ومن أعظم المنافع تعلم العلم، تعلم الدين، وأن تتسع قلوبكم فتتعلق بالآخرة، ويرد هذه المنافع أن الإنسان ما يكون في داخله تقوى، فحتى لو أتى هذا الزمن المبارك وهذه الأرض المباركة ما تقع البركة عليه، فإذا لم يكن قلبك صاحب تقوى فلا تنتظر أن تجد بركة الأعمال؛ لأن إناء البركة الذي تغرف منه هو قلبك، فإذا لم يوجد في قلبك تقوى فلن تستطع أن تغرف من هذه البركة.

أحد أحوال فاقدي التقوى: أنهم كثيري المجادلة في كل شيء، مثلا مسألة (غطاء الوجه)، لن أتناقش في الحكم الشرعي والخلاف، لكن أنت في أرض مقدسة مباركة وفي زمن معظم وتقوم بعمل عظيم يحبه الله، وستأتينا عبادة التعظيم هي أعظم العبادات، يقع في قلبك أنك لست بأي مكان ولا بأي زمان، فإذا كان غطاء الوجه مختلف فيه سنتكلم عن قضية تعظيم المكان وكيف أنه مطلوب منك من تعظيمك لله أن لا تكون فاتنا ولا مفتونا، فلا تكُن سببا لفتنة غيرك من تعظيمك لله، هذا يفهّمك ما معنى أن تكون معظِّمًا لشعائر الله.

إذًا اتفقنا على أن أول أمر ورد في سورة الحج هو التقوى، والذي سيحرّك تقواك إيمانك باليوم الآخر، واحذر أن تكون كثير الجدل، فالذي يجادل ويتكلم ولا يفكر أن كل كلمة مكتوبة عليه، ما الذي جعلك تدخل في جدال مع من يقول لك هذا حكم الشريعة؟ ما الذي جعلك تأمر هذا وتنهى عن هذا؟ كل هذه الأسئلة سيأتيك السؤال عنها، هل عندك علم أم لا؟ فهذا أول صنف.

---

(1) [سورة الحج: 3]

(2) [سورة الحج: 28]

في الآية الثامنة **الصنف الثاني** من الناس {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ}[1]، فالأول كان تابعًا أما الثاني فيترأس مسألة المجادلة، فيجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، ثم ما وصفه الثاني؟

{ثَانِيَ عِطْفِهِ} إشارة إلى مرض الكبر الذي يُصاب به الإنسان؛ الذي ذرة منه كافية أن تمنعك من دخول الجنة؛ لأن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-قال: ((لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ))[2] كيف تقيس هذه الذرة؟ انظر للحق حين يأتيك وانظر لقلبك كيف يمكن أن يرده!

والنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-وصف الكبر بوصفين:

- **وصف يتّصل بالحقّ، أنه متكبّر يردّ الحقّ.**
- **وصف يتّصل بالناس، أنه يتكبّر على الناس ويرى نفسه-ولو في ثانية-أنه أحسن من أيّ أحد.**

كل هذا ما علاقته بالحج؟

أنت معك قلب، قلبك هو الذي سيرفعك عند الله وهو الذي سيميز الناس عندما يلقون الله، والقلب ينبغي أن يكون ممتلئا بالتقوى، ومن معارضات التقوى أن يكون الإنسان متابع لشخص مجادل أو هو رأس في المجادلة.

فأحد أهم الممنوعات في الحج الجدال، أنتم أتيتم الحج والله فهّمنا لماذا أتينا، قال تعالى: {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ} فمن أعظم منافع الحج (العلم)، وعندما ينزل العلم على قلب غير متعلق بالدنيا ليس مثلما ينزل على قلب متعلق بالدنيا، حين تكون في بيتك ومشغول بأولادك ويقول لك أحد: (تعال إلى الدرس) هل مثلما تكون خاليًا تمامًا وليس عندك أي شيء إلا أن تتعلم؟ هذا الخروج والانتزاع من القلب والبيوت أهم مقاصده أن يمتلئ قلبك بالعلم عن الله {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ}[3]، وقبلها وصف الله المنافقين والمؤمنين في مجلس الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-ثم خرجوا، فالمنافقين حضروا مجلس الرسول لكن يخرجون يقولون: {مَاذَا قَالَ آنِفًا}[4] يسمعون بآذانهم لكن ما وقع في قلوبهم!.

فأهم منافع الحج أن تتعلم عن الله وأن يخلوا قلبك من المشاغل فتتعلم عن الله.

---

(1) [سورة الحج: 8]
(2) "صحيح مسلم" (كتاب الإيمان / باب تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ/ 275).
(3) [سورة محمد: 19]
(4) [سورة محمد: 16]

لماذا يخرج الناس من الحج ويعودون بنفس الصورة؟ لأن قلوبهم ما كانت مستقبلة للمنافع إنما كانت أبدانهم عاملة بدون قلوب، والرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-قال: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))[1] ينظر لقلوبكم وقت قيامكم بالعمل، أين كانت قلوبكم؟ المناسك كلها عبارة عن انتقالات، فعلى ماذا أجمع قلبي في كل نسك؟

نأتي إلى **الوصف الثالث** أخطر ما يكون من وصف، قال الله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}[2].

حتى تفهموا وصف هذا جيدًا نذهب لآية (11 و12) في سورة يونس: {وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (11) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[3]

{وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ} أي: وهو مستلقٍ على جنبه.

{أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا} أي في كل أحواله حين يمسه الضر يقول: (يا رب)، لكن ليس هذا الذي يُنكر عليه، انظر بعد ذلك: {فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ} سنرى بيان حالة هذا حقيقةً في هود أيضًا.

- **ما حاله؟**

يعرف أن الله مالك الملك والأمر بيده، فإذا أصابه ضر ما ترك حال من حاله إلا قال: (يا رب)، وما إن يكشف ضره حتى ينسى نعمة الله عليه بدلًا من أن يشكر، أيضًا هذه الصورة يزداد بيانها في سورة هود الآية: (9 و10) قال الله تعالى: {وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (9) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ}[4] يبقى راضيًا عن الله مادام عنده النعمة، ثم إذا نُزعت منه النعمة يصبح يؤوس كفور، ييأس أن يُعدِّل الله حاله في المستقبل، لماذا ييأس أن يغير الله حاله؟ لأنه كفر، أي نسي عطاء الله السابق له، المفروض يبقى قلبك محتفظًا بعطايا الله ويشهد له بالمنة وأنه فرج كربتك وأعطاك.

---

(1) سبق تخريجه.
(2) [سورة الحج: 11]
(3) [سورةيونس: 11-12]
(4) [سورة هود: 9-10]

ما صورة الناسي؟ الزمن الماضي أتاه خير، ثم أتاه كرب، فلما يأتي الكرب ينسى خير الله وأنه عامله بعطائه ولطفه ورحمته، {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي} حتى ما يقول: (أذهب الله السيئات) بل ينسبها لنفس السيئات، أنها ذهبت بنفسها، فالذي يكون في الضراء ييأس من رحمة الله المستقبلة وينسى رحمته التي مضت، وإذا انكشف الضر نسب العطاء لنفس السيئة، فهذا يعبد الله على حرف، إن أُعطي منها رضي وإن لم يُعط سخط!

آية هود فيها كلمة (أَذَقْنَا) و (مَسَّ) هذان فعلان ليسا طويلان، بسرعة، من كثرة ما يعبد الله على حرف مجرد ما يمسه أقل ضر يسخط على ربه، لو أصيب في أصبعه ينسى كل الصحة ويتذكر هذا الألم! وتجده يتكلم عن البلاءات والأمراض وأنه ماله حظ في الدنيا! كل هذا شخص يعيش ليس محسنًا الظن بربه بل يعيش على صورة إساءة الظن، وصورة إساءة الظن آية يونس وهود، مسيء الظن بربه أنه إذا مسه الضر يقع في قلبه اليأس وينسى عطايا الله، فتخيل شخص يتصور أنه سيعيش هذه الأحزان طول عمره كيف سيكون عابدًا ذاكرًا شاكرًا؟! يريد من الله أن لا يصيبه بأي شيء لا يأتي على مزاجه! فكل هذه أوصاف للناس البعيدين عن التقوى:

- ✓ **الذي يجادل في دين الله متبع لأحد.**
- ✓ **والذي هو رأس في المجادلة.**
- ✓ **والذي يعبد الله على حرف.**

هؤلاء حجوا أو لم حجوا سواء لأن لا تقوى في قلوبهم، فالتقوى هي التي تجعل قلبك جاهزًا ليمتلئ بركة هذا المكان وبركة هذا الزمان، فأنت تغرف على قدر تقوى قلبك، فهذه ثلاثة أمور لابد تبعد عنها وتلاحظ قلبك فيها، لا تقلْ: (الله يحب هذا ولا يحب هذا) وأنت لا تعلم ذلك يقينا! لا تتكلم عن الله بغير علم{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[1]، **قال أهل العلم:** "بدأ في هذه الآية بأدنى الذنوب إلى أعلاها"، أصبح القول على الله بلا علم إما أعظم أو في درجة الشرك، أن تقول على الله أنه يحب هذا أو لا يحبه وأنت لا تعلم، فالذي يحركه للكلام عن ربه ويجادل هو فقدان التقوى، ناسيًا أنه سيلقى ربه ويكلمه ليس بينه وبين الله ترجمان.

(1) [سورة الأعراف: 33]

والمخيف حقيقة أن يعبد الإنسان ربه على حرف، أوصافه متعددة مررنا عليها، في النهاية وُصف في الحديث ((فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا سَخِطَ))[1] كيف يسخط على الله؟ يئوس قنوط، ييأس من رحمة الله، لا يتصور أن الله سيعطيه في المستقبل وينسى ما أعطاه الله، وهذا الكلام على أقل شيء ينقص عليك، فالله يختبرك في كل نقص، مثلًا ركبتم الباصات وذهبتم إلى عرفة، وخط السير ليس بيد أحد، وحتى مأكلك ومشربك، لكن نأتي لشيء كلنا متفقين أنه بيد الله، ركبت ووجدت الدنيا مزدحمة وجلست 4 ساعات في الباص، عندما ينقص عليك هذا الأمر هل تحبس نفسك على الصبر والرضا عن الله أو تبحث عن شخص تخرج عليه حرارتك؟! يريد كل شيء يأتي على مزاجه، ما يشكر أنه على باص ليس على قدميه، وأنه في مكان آمن ولا يرى أي شيء، كل شيء ينهار! هذه المشاعر أنه كلَّما يأتيك نقص ينقلب كيانك هي مشاعر شخص جالس على حرف، أنت بنفسك من المؤكد أنك عاشرت في الحياة شخص جالس على حرف، لو أخطأت أدنى خطأ مباشرة تنسحب منك الثقة، هذه المشاعر تصور أن تعامل بها ربك{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ}[2] أي رضي عن ربه، وصورة الإنسان هذه هي نفسها التي مررنا عليها في يونس وهود، ودائمًا نمر عليها في سورة الفجر، وصورتها في سورة الفجر هي: قال تعالى: {فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ}[3] أكرمني عندما أتى الأمر على هواي، وعندما أتاني مرادي! مع أنه في الحديث ((إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لاَ يُحِبُّ، وَلاَ يُعْطِي الدِّينَ إِلاَّ مَنْ أَحَبَّ))[4]، وإذا نقص عليه شيء؟ {وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ}[5] هذا مقياسه، فيرد الله يقول: {كَلَّا}. هذا ليس مقياسًا صحيحًا، لكن ما الذي جعلكم تعتبرونه مقياسًا صحيحًا؟ أنكم لا تكرمون اليتيم، من شدة طمعكم في الدنيا لا تكرمون اليتيم، قال تعالى:

{بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (17) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (18) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (19) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا}[6] لدرجة أن المال أصبح هو القيمة العليا الذي على أساسه تصنف الناس وتصنف رضاك عن الله، وإذا أعطاك رضيت عنه، وإذا ما أعطاك معناه أنه لا يحبك.

---

(1) "صحيح البخاري" (كتاب المساقاة/ باب إِثْمِ مَنْ مَنَعَ ابْنَ السَّبِيلِ مِنَ الْمَاءِ/ 2358).

(2) [سورة الحج: 11]

(3) [سورة الفجر: 15]

(4) صححه أحمد شاكر، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد موقوفا عن ابن مسعود بلفظ: "وإن الله تعالى يعطي المال من أحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب". وقال: صحيح موقوفا في حكم المرفوع.

(5) [سورة الفجر: 28]

(6) [سورة الفجر: 20]

ثم وصف اليوم الآخر{كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (21) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (22) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (23) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} يكتشف أن كل الذي مضى عليه ليست هي الحقيقة، وانظر إلى الوصف الثاني: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً}[1] فالمطمئنة ليست مثل الذي يعبد الله على حرف، المطمئن أوْصفه بالمعاكسة، في كل الأحوال محسن الظن بربه، إن أعطاه شكر وإن منع عنه صبر، وهذا لا يكون إلا للمؤمن.

فقضية سوء الظن بالله قد تكون في أعماق القلب ولا نشعر بها، الذين أعطاهم الله أولاد وليسوا شديدي الاستقامة، فيقع في قلبك (لماذا هو يأخذ وأنا لا آخذ؟) هذا لا تكلم فيه الشخص بل تكلم فيه الله! فالمطمئن يعلم أن هذا الذي قُسم له تصلح به الدنيا والآخرة، ثم اعلم أن الله يجري عليك الأقدار التي يصلحك بها ويخرج بها أمراض قلبك، يصلحه ليجاوره في جنات عدن، فيجري عليك أقدار فيها أنواع ابتلاءات سواء التي تحتاج لشكر أو صبر ليخرج ما في قلبك من أمراض ثم يَصْلُح قلبك لمجاورته.

والناس في الجنة درجات في قربهم من الله، درجات الجنة على قدر صلاح قلوب العباد، من أجل ذلك كان من كلام النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ))[2]. فلمّا يبقى نظرك على قلبك تفهم الله امتحنك في ماذا، والمعالجة هي المجاهدة، قال تعالى في سورة العنكبوت: {الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}[3] أي دعوى تدّعيها، تقول (أنا مؤمن متقي، لو حصل لي هذا الموقف سأفعل كذا) ما يتركك الله، ما إن تدّعي حتى يبتليك، ما إن تقول: (أنا وصفي كذا) سيبتليك،{فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا} في دعواهم{وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}[4]. وآخر السورة: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}[5] سيختبرك ويفتنك: أنت كيف ستعامل ربك؟ فأهم شيء أن نظر عينيك ليس لجوارحك بل قلبك، أين ذهب قلبك؟ وكيف يتحرك؟ ممكن تكون على الصامت لكن يمر أمامك أحد وأنت تشعر في قلبك أنه حقير وأنت حتى ما رمشت عينك! فلابد تجاهد هذا؛ ولذلك قال النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ

---

(1) [سورة الفجر: 15-28]

(2) "سنن الترمذي" (كتاب القدر/ باب مَا جَاءَ أَنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيِ الرَّحْمَنِ/ 2290) ، وصححه الألباني.

(3) [سورة العنكبوت: 2]

(4) [سورة العنكبوت: 1-3]

(5) [سورة العنكبوت: 69]

كِبْرٍ))[1] لاحظ: **(في قلبه)** وهذا ليس مثل الخواطر التي تمر سريعًا، مرور الناس مجرد إثارة لما هو مستقر في القلب، الكلام على ما استقر في قلبك.

لذلك ترى ناس مجرد ما يرون أحدا يخالفهم في اللون أو الجنسية أو بلدان معينة يرى أنهم أقل منه، رآهم بعيونهم أو ما رآهم فهو مستقر في قلبه أنه أحسن منهم! وما يدري من عند الله سيسبق! ولذلك جزاء المتكبرين أن يجعلهم الله كأمثال الذر يوم القيامة يطؤهم الناس بأقدامهم، وأضرب مثال الكبر لأن الحديث نصَّ عليها **(ذرة)** لتعلم أن أمراض القلوب لو استقرت في القلب ولو ذرة تحاسب عنها، فاعلم أن أهل التقوى بعيدين عن أوصاف الثلاثة، يحسبون حساب كل كلمة يقولونها.

ثم تجد عجبًا في بقية الآيات إلى أن نصل لموطننا الذي هو جواب سؤال: **ماذا يجب أن يكون في قلبي طول أيام الحج؟**

نرى آية (30) في سورة الحج: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ} ثم {حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} ثم {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ}[2] جاء الكلام مرتين حول كلمة (تعظيم) ثم في الوسط كلام حول (حنفاء).

فأحتاج ثلاث مشاعر في قلبي:

1. **تعظيم حرمات الله.**
2. **تعظيم شعائر الله.**
3. **أن تكون من الحنفاء.**

نبدأ بتعظيم الحرمات والشعائر:

في الحرمات قال تعالى: {فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ}.

وفي الشعائر قال تعالى: {فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ}.

---

(1) "صحيح مسلم" (كتاب الإيمان / باب تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ / 275).

(2) [سورة الحج: 30-32]

الكلام عن التعظيم يطول لكن نريد أن نصف إحساسًا مختصرًا لمسألة التعظيم، التعظيم أن تشعر أن هذه الأرض ليست مثل أي أرض، وترى هذا الوقت ليس مثل أي وقت، وهذا العمل ليس مثل أي عمل من الأعمال الصالحة التي تقوم بها، لابد أن تعتقد أن الله اصطفاك لما أتى بك إلى هنا، فأنت محتاج لأمرين:

- أن ترى منّة الله عليك فتلهج بالشكر.
- ومحتاج أن تعلم أنه سيختبرك هل أنت حقيقةً معظِّم لشعائر الله؟ فتحتاج للصبر.

فهي كلها خمسة أيام لكن لابد أن تتعرض لمواقف كثيرة يختبر الله فيها صبرك على حبس لسانك على أن تقول كل ما يخطر في وجدانك، صبرك أن تتحرك ببدنك لِمّا حرم الله، صبرك على أن تفعل فوق ما كنت تفعل من التقرب إليه والتعلق به-سبحانه وتعالى-، فالتعظيم مشاعر تجعل هذه الأرض ليست مثل أي أرض، الذنب هنا مُعظم عن الذنب في بلدك، وإن كان سيجتمع هنا تعظيم الزمان والمكان، في بلدك الذنب معظم في الأشهر الحرم، قال تعالى: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ}[1] **قال أهل العلم في تفسير هذه الآية:** "أن الذنب في الأشهر الحرم الأربعة معظم". تأتي لهذا البلد تجمع مع الزمان المكان، فجَمَعَ الذنب هنا بين أمرين في التعظيم: حرمة الزمان والمكان، فلا تسأل عن ذنب يذنب في بساط الملك وقربى بابه!

لو مثلنا هذه الصورة بملك له حِمى وأنت تدخل حِماه فتفعل شيء لا يحبه في حِماه، هل مثلما تفعله وأنت بعيد عنه-وإن كان له سلطة عليك في جميع الأحوال-؟ لا، فالكلمة التي تخرج من لسانك سواء غيبة أو كذب أو نميمة في مكة ذنبها أعظم، وفي هذا الشهر ذنبها أعظم، فتجد في قلبك حرصًا كأنك دخلت لسجن يمنع لسانك وجنانك وبدنك أن يتعدى.

لذلك من تعظيم الشعائر التي عظمها الله أن تجد نفسك حريصًا على ألا ينطق لسانك إلا بما يحب الله، وإذا أشغلت لسانك بالتوحيد وملأت قلبك بالتوحيد ومنعته أن يقع في الخطأ؛ ولذلك بين التعظيمين أتى الكلام عن التوحيد{حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ}[2] الذي سيعظِّم لابد أن يكون موحدًا، ليس في قلبه عظيم يعظِّمه إلا الله، وليس في قلبه متعلق يتعلق به إلا الله، وهذا معنى أن تكون موحدًا، أن تكون على الحنيفية.

لـ من أجل هذان المفهومان لابد أن تتعلم التالي:

---

(1) [سورة التوبة: 36]

(2) [سورة الحج: 31]

1. **تتعلم عن أسمائه وصفاته**: فالعباد يعرفون محبوبيهم معرفة دقيقة، والشيء الذي تحبه تعرف تفاصيله، في المقابل أن محبوبهم وهو الرب تجد من الجهل الشديد في معنى أسمائه وصفاته! مع أنه أصلحك وهوّن عليك الأمر وعلّمك أن أعظم آية هي آية الكرسي، وسورة الإخلاص ثلث القرآن، فاملأ قلبك بمعاني الإخلاص والكرسيّ.

الحاجز هو الجهل، ولو دخل عليك شخص قال: (أنا أسلمت، اشرح لي الإسلام)، لاحظ أنه مثلًا من أهل الكتاب أو بوذي أو هندوسي، من عُبّاد الأوثان، كلهم ما حالهم من جهة توحيد ربهم؟ مشركين، كأنك تقول: صحيح نطق بلسانه (لا إله إلا الله) لكن ما استقر في وجدانه معناها، وإذا ما استقر فأي عمل لا يعني شيئًا!

وصف الله في سورة إبراهيم: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ}[1] والثانية: {وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ} هذه كلمة (لا إله إلا الله) في قلب المؤمن، والثانية في قلب الجاهل أو المشرك؛ لذلك حتى تصبح كلمة (لا إله إلا الله) مثل الشجرة الطيبة أصلها ثابت لابد أن تتعلم معناها، ماذا يعني أن (لا إله إلا الله)؟ ماذا تعتقد في إلهك؟ علِّمْهُ سورة الإخلاص، كلِّمْه عن الله أنه واحدٌ أحدٌ صمدٌ.

ما معنى أنه صمد؟ أنه كامل الصفات، كمُل سؤدده وسيادته على كل أحد، كامل في علمه ورحمته، كامل في قدرته وسلطانه، ثم مِن كماله أن يصمد إليه كل أحد، مسلم وكافر، انظر لمن ضعف إيمانه أو فقد وقت الاضطرار كيف لا يلجؤون إلا له، ثم انظر لعالي الإيمان السبعين ألفا، حالهم حول اسم الصمد أنه مدار حياتهم لذلك: ((لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ))[2].

النفس المطمئنة مطمئنة لأنها تعيش كل الحياة وعندها ركن شديد تلجأ إليه، هذا الذي يجعل العبد يعتقد أن ربه معه، عندما أقول لك: (اصبر) لا تقل: (صبرت كثيرًا!) بل تعلم أن الله مع الصابرين فتشتري معيّته.

فنحن نعلم تفاصيل التفاصيل عمن نحب من أهل الدنيا، لكن انظر في آية الكرسيّ: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[3] تبيَّن الرشد من الغي فيما علمت من صفات ربك،{فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ}[4] (الطاغوت) لا يعني أصنامًا، **الطاغوت**: كل شيء تجاوز حده في قلبك، عظَّمته أو تعلَّقت به تعلقًا تجاوز الحد، نقول: (الماء طغى) أي زاد، قال تعالى:

---

(1) [سورة إبراهيم: 24]

(2) "صحيح البخاري" (كتاب الطب/ باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو/ 5705).

(3) [سورة البقرة: 256]

(4) [سورة البقرة: 256]

{قلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}[1] انظر لأشياء تطغى وأنت لا تشعر! هذه كلها محاب طبيعية لكن لها حد، عندما تتجاوز حدها تتحول هذه الطبيعية إلى طاغوت، فالمطلوب أن تكفر بالطاغوت.

ومثل الطبيب، في قلوبنا المفترض ألَّا يتعدى أن يكون سببًا سبّبه الله، ولو لم ينفعك الله به فلن تنتفع؛ لذلك لما أتى الأعرابي للنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-ورأى خاتم النبوة في ظهره، في حديث أَبِي رِمْثَةَ-فَقَالَ لَهُ أَرِنِي هَذَا الَّذِي بِظَهْرِكَ فَإِنِّي رَجُلٌ طَبِيبٌ. قَالَ: ((اللَّهُ الطَّبِيبُ بَلْ أَنْتَ رَجُلٌ رَفِيقٌ طَبِيبُهَا الَّذِى خَلَقَهَا))[2] أي ما معك من أسباب فإنما من عطايا الله لك، ثم أوقع الله في قلبك الرفق فترفقت بالناس، فالطبيب مجرد سبب، متى يصبح طاغوتًا في قلب العبد؟ كلنا نقول: لا أشعر أنه يشفيني، لكن إذا طبيبك سافر نهائيًا من البلد، أو مات، ماذا ستفعل؟ ما أول مشاعر تقع في قلبك؟ أين أذهب؟ سيأتي هذا السؤال!

نحن عندما نقول: (الطبيب ليس طاغوتًا، وأنا أعلم أن الشفاء بيد الله) فالدعاوي يسيرة ولابد أن تُختبر فيها، عندما تُختبر لا تتجاهل نتيجة الاختبار! كأنه يقال لك: (لازال هناك دور ثانٍ، فرصة، اكتشفت أنك ناقص فكمّل نفسك) الله حين يكشِف للعباد ما في قلوبهم ليس لأجل أن يغمضوا أعينهم أو يشعروا بالفشل، بل ليصلحوا ما يمكن إصلاحه قبل أن يلقوا الله.

لذلك حين نقول: (توفاه الله) معناه أنه وُفي كل الفرص، اختبرك الله وأعطاك وامتحنك، لكن انتهت فرصك! فنحتاج لشعورين خلال هذه الأيام المباركة: (**التوحيد والتعظيم**) والاثنين طريقهم واحد: **العلم عن الله**، ثم تأتينا بعد ذلك خطوات، العلم عن الله ليس بعيدا أو بآراء الناس، هو علّمك عنه، ماذا تقول لربك ودفتي المصحف تحمل في طياتها العلم العظيم عن الله؟! ماذا ستقول له حين تلقاه وأنت جاهل عن الله؟! اليوم حُجّتنا صارت أقوى، نعرف نقرأ العربية والانجليزية وبعضهم الفرنسية ونشتغل على آلات تجمع العلوم بضغطة واحدة، فأين علمك عن الله؟ الذي إذا عَلِمْت عنه عشت الحياة كما ينبغي.

فعليك أن تبقى ذليلًا منكسرًا عند بابه، تبقى متعلقًا به، أنه هو يدبر شأنك، يجب أن يختفي شعورك أنه يدبر شأنك؛ لذلك من الكلمات الفاسدة المتداولة (الثقة في النفس) لأنك في أذكار الصباح والمساء تقول: ((أَصْلِحْ لِي

(1) [سورة التوبة: 24]

(2) "سنن أبي داود" (كتاب الترجل/ باب فِي الْخِضَابِ/ 4209) صححه الألباني.

شَأْنِي كُلَّهُ، وَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ))[1]، وفي الرواية الأخرى عند أحمد: ((إن تَكِلْنِي إلى نَفْسِي تَكِلْنِي إلى ضَيْعَة وعَوْرَة وذَنْب وخَطِيئة، وإني لا أثِق إلاَّ بِرَحْمَتِك))[2] أي أنفي كل أحد أثق فيه ومن بينهم أنا، لماذا مفهوم مناقض كهذا يدخل علينا بكل سهولة؟ أنتفخ وأعتقد أني شيء! لماذا يدخل المفهومان المتناقضان؟ لأن القلب ما امتلأ علمًا عن الله، فثقتك كلها ضعها في الله، وإذا وضعت كل ثقتك في الله دبّرك على ما يحب وما تحب، أرضاك ووفقك ويسر عليك ما تحب، جعلك تشتاق إلى لقائه، فالمقصد الآن أن كثيرًا من المفاهيم المتناقضة داخل قلب واحد سببها أن القاعدة الرئيسية التي نرتكز عليها في العلم: (العلم عن الله)، ناقصة!

فلما قارن الله تعالى في سورة البقرة: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}[3] لأنهم يرون من آثار كمال صفاته عليهم بعدد أنفاسهم فيزدادون له حبًّا، أي: حين يعرفون أنه اللطيف الخبير، القريب المجيب، الوكيل المستعان؛ فيجدون أنهم كلَّما تقربوا منه شبرًا تقرب إليهم ذراعًا، ويرون هذا بعين البصيرة، يبصّرهم الله في آثار تربيته لهم، يرون كل موقف يحصل لهم شاهد جديد يزيد حبهم لله لذلك قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}لأنهم يرون من آثار كمال صفاته في حياتهم بعدد أنفاسهم.

فأنت ترى أن أبناءك يمسكون القلم الرصاص ثم يتنازعونه فترى أنه يوجد خطرًا على أعينهم، ثم ترى لطف الله بهم وكيف يحميهم، يأتي الطفل الصغير فيحفظه الله بمقدار شعرة من الخطر فترى بعدد أنفاسك عجبًا، هذا الكلام العام غير الأحوال الخاصة التي تمر على العبد ويرى ضيقًا يأتي وراءه فرجًا، ويرى بعدًا يقربه إلى الله، ويرى ذنبًا يستره الله، ومن آثار البركات في العمر والمال شيء لا يتصور، يزيد من حبه لله حين يَعلم عن الله، فيقول: هذا الموقف حصل من لطف الله، وهذا من علمه، وهذا من رحمته، فكلَّما زاد علمك بالأسماء كلَّما استطعت أن تترجم الحياة.

المفترض أن تفاصيل الأحداث تُترجم كما تعلم عن الله وأنت محسن الظن به؛ لذلك حين يصل الإنسان لسن الأربعين ويرى أن تجربته نضجت مع عمره ويلتفت لما مضى من عمره يقول: {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ}[4]، يبدأ يتصور حقيقة الأحداث التي كان في وقت يبغضها ولا يريدها، فمثلًا كان لا يريد أن يسكن في هذا المكان، كان لا يريد أولادًا في هذا الوقت ثم يأتيه الخير الكثير. فعندما تبلغ هذا العمر–وهو من

(1) رواه البزار في مسنده، والنسائي في السنن الكبرى، وصححه الألباني.
(2) أخرجه أحمد (21666) واللفظ له، والطبراني (119/5) (4803)، والحاكم (1900) وضعَّفه شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند.
(3) [سورة البقرة: 165]
(4) [سورة النمل 19]

نعم الله التي لابد أن تشكر الله عليها؛ لأن في هذا العمر، يستوي عندك النضج العقلي مع المشاعر-يستلزم منك شكرًا لأنك ستقف على أعتاب ذنوبك فتستغفر وتتوب، وتقف على نعمه فتشكره عليها وترى أنه هو الذي ربى عيالك.

وأيضًا من آماله في هذا السن الذهبي: {وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ} فصارت غاية مراداته، ثم {وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي} صارت غاية آمالي أن يكونوا صالحين ليدخلوا الجنة كما يحب ويرضى وأجتمع بهم،{إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ}[1] بدأت أشعر بستره وحلمه في معاملته لنا.

فكلَّما زدت علمًا عن الله كلَّما زاد حبك له، فلن تكون من أهل التوحيد كما ينبغي ولن تكون كلمة (لا إله إلا الله) شجرة طيبة أصلها ثابت إلا عندما تتعلم عن الله؛ لذلك بعد هذه الآيات قال تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}[2] **القول الثابت هو**: كلمة (لا إله إلا الله) التي نرجو من الله أن نحيا عليها ونموت عليها وتثقل موازيننا؛ لأن المنافقين شهدوا أن لا إله إلا الله وأن الرسول حق لكن ما نفعتهم، فأصبحت كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار، فتعلّم عن الله.

كيف يجب أن يكون قلب الحاج؟ معظم موحد.

كيف تأتي بهما؟ أول خطوة: تعلّم عن الله.

فستأتي ((لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ)) كما ينبغي، كأن شخصًا يسمع نداء الله فيقول: (يا رب استجابة بعد استجابة)، فالتلبية من معانيها المحبة والانقياد، فهل تجد في قلبك أنك منقاد؟ هل تجد في قلبك محبته؟ كل القضية حول وجدانك عندما تقول هذه الكلمة ((لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ)) هل تقولها حقيقة؟ (الشريك) هو كل شيء تتعلق به، والدنيا تكبر حتى تصبح شريكًا ((تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ))[3] الخميصة والخميلة هي ملابسنا! يمكن أن يصبح لها عبدًا من كثرة ما تشغله!

((إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ))[4] الحمد كله لك والنعمة التي أتقلب فيها كلها لك.

---

(1) [سورة الأحقاف: 15]

(2) [سورة إبراهيم: 27]

(3) "صحيح البخاري" (كتاب الجهاد والسير/ باب الْحِرَاسَةِ فِي الْغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللهِ/ 2886).

(4) "صحيح مسلم" (كتاب الحج/ باب التَّلْبِيَةِ وَصِفَتِهَا وَوَقْتِهَا/ 2868).

مثلما تقول في أذكار الصباح: ((اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ))[1] تعرف أن ما بي من نعمة صغيرها وكبيرها، كل شيء فيك ليس لك فيه يد، (إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) فلا ملك إلا لك، لا شريك لك في الحمد والنعمة ولا في الملك، فقلبك يتعلق بغيره لماذا؟ المفروض كل الناس يصبحون طريقًا للوصول إلى الله، فهذا كله الخطوة الأولى تجاه قلب حاج موحّد معظّم، تعلّم عن الله أسمائه وصفاته.

❖ مراجعة سريعة:

عنوان **لقاءنا (قلب حاج)** واتفقنا أن قلبك هو الذي يَزِنك، فهنا ارتحلت ببدنك لكن أهم شيء أن ترتحل بقلبك، هناك كثير من الناس ما ارتحلوا بأبدانهم لكن سبقت قلوبهم إلى الله ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّه))[2].

ثم اتفقنا أن الناس بسبب قلوبهم انقسموا لمتقٍ وفاقد للتقوى، حتى تعرف التقوى انظر للثلاثة:

1. مجادل متابع لغيره.
2. رأس في الجدال.
3. يعبد الله على حرف، وهو أقرب ما يكون متداول موجود، تعرفه حسب موقفه في الضراء والسراء، مقدار رضاه عن الله، إن أعطي منها رضي وإن لم يُعط منها سخط.

مثال على الجدل: مثلا يريد أن تكون الأسهم الربويّة البنكية حلال، ويجد في التلفاز مَن يحللها، فيحفظ الفتوى ويقولها في كل مكان{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ}[3] ولابد أن يقتنع معه كل الناس! فالذي ابتلي في قلبه بالجدال ما ينفع معه كلام، فبيّن الحق واتركه.

❖ ما حال المتقي؟ قال تعالى:

1. {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ}.
2. {حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ}.
3. {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ}.

---

(1) "سنن أبي داود" (كتاب الأدب/ باب مَا يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ/ 5075) قال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن.

(2) سبق تخريجه في أول الدرس.

(3) [سورة الجاثية: 23]

ففهمنا أن المتقي لابد أن يكون وصفه موحّدًا، قلبك لابد أن يكون مُتّقيًا حتى تغرف من بركات الزمان والمكان والأعمال.

فالتعظيم تابع للتوحيد، التوحيد هو كلمة (لا إله إلا الله)، وهذا التوحيد كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، على قدر تحقيقك لشروطه–وأول شروطه العلم عن الله الذي في قلوبنا–تنال بركاته.

لقاء
قلب حاج
اللقاء الأول الفترة (٢)
ألقي يوم الاثنين
٦-١٢-١٤٣٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي يسّر لنا هذا اللقاء وأسأله-سبحانه وتعالى-أن يجعله لقاء مباركًا مرحومًا، اللهم آمين.

نُكمل الكلام الذي ابتدأناه في الكلام حول: **ماذا يحتاج الحاج في قلبه؟**

واتفقنا على أنه:

- ✓ **يحتاج التوحيد.**
- ✓ **ويحتاج التعظيم.**

وهذا أخذناه من سورة الحج، في سورة الحج ضُرب مثال في هذا الموطن، لننظر إليه في الآيات ولنفهم ما معنى المثل:

قال الله تعالى: {حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ}[1] هذا مثال، شبّه من؟ شبَّه مَن وقع في الشرك، أي زاغ قلبه عن التعلُّق والتعظيم، فأنت عندما تسمع كلمة (الشرك) لا تتصوّر أن الشرك المقصود به الأصنام، الشرك هو أن يقع في قلبك تعلّق بغير الله، أو تعظيم غير الله، تعلقا تامًا، أو تعظيمًا تامًا لغير الله.

هل هناك فرق بين التعلّق والتعظيم؟

نعم هناك فرق، سنشرح التعلّق والتعظيم-إن شاء الله-لكن المهم أن تفهم التأليه، أي أنك عندما تقول: (لا إله إلا الله)، معنى (إله) أي: الذي أتعلّق به وأعظّمه، الذي ألجأ إليه في الرخاء والشدة وأعلم أنه ركني الشديد، هذا هو التعلّق، والتعظيم أي الذي أرغب في رضاه وأخاف من سخطه.

- **التأليه أمران:**

(1) المحبة، وهي التي نسميها **التعلق**، أي أنك دائمًا ترجوه، ودائمًا هو محط آمالك.

(2) **التعظيم**، أي أنه عندك عظيم-سبحانه وتعالى-وتخشى أن تفقد رضاه.

والمعنى أعمق من ذلك، نحن الآن نقول كلامًا بسيطًا، ثم مع تعلّم الأسماء والصفات سيتبين لك-إن شاء الله-

(1) [سورة الحج: 31]

فأنت عندما تقول: (لا إله إلا الله) **ماذا يعني ذلك؟**

(إله) أي: مألوه، تألهه القلوب محبةً وتعظيمًا، إذًا على هذا ماذا يكون معنى (لا إله إلا الله)؟ صحيح أنه لا معبود بحق سواه، ولكنني أريد التفصيل في كلمة (إله):

- (إله) أي: مألوه.

ماذا يعني مألوه؟ أي: تألهه القلوب.

وماذا يعني تألهه؟ أي: تتعلق به، تحبه وتعظمه.

إذًا عندما تقول: (لا إله إلا الله) فهذا يعني أنني لا أتعلّق ولا أُعظّم إلا الله، هذا معنى (لا إله إلا الله)، أي أنه ليس لديّ أحد بمنزلة الله من جهة التعلّق والرجاء، ولا من جهة التعظيم والخوف، ليس عندي أحد بمنزلته أبدًا، أنفي كل أحد أتعلق به وأعظمه إلا الله، والشرك ضد هذا الأمر؛ وهو أن يقع في قلبك تعلّق بغير الله، أو تعظيم غير الله، وإذا وقع في قلبك تعلّق بغير الله، أو تعظيم غير الله سيأتي وراء ذلك أعمالًا؛ أي أن الأعمال التي تعملها في حياتك وتتقرب بها إلى الله إنما هي انعكاس حبّك وتعظيمك لله، أي: بقدر حبك لله تعمل أعمالًا صالحة من طاعة، وبقدر خوفك وتعظيمك له تتقي وتبتعد عن المعاصي، فلو كان في قلبك تعلّق بغير الله سيكون عملك الدؤوب لهذا الذي تتعلق به، وسيكون همك الذي يشغلك: **مَن هو هذا الذي تتعلق به.**

الآن لنفهم **المثل الذي أتى في سورة الحج**، شبَّه الله-عزَّ وجلَّ-الذي أشرك بمن خرَّ من السماء، وعندما يسقط من السماء سيتعرض لأحد أمرين:

1. إما تخطفه الطير، فإذا تخطفته الطير تأكله، فينتهي هذا الجسم الكامل إلى أجزاء في حواصل الطيور.
2. أو تهوي به الريح في مكان سحيق.

وهذا أشدّ أنواع الهلاك، فهل ترى هالكًا أكثر من هذا؟ فأي أحد تراه سقط من السماء لا بدّ أن يهلك، بأحد أمرين: إمّا تخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق؛ معنى ذلك أنك تفهم أن الذي يشرك بالله، أي يتعلق بغير الله، أو يعظم غير الله هالك هالك، أشد ما يكون هلاكًا!

فأنت الآن متأكد أن الذي يسقط من السماء لا بدّ أن يهلك، وكذلك الذي يشرك لابدّ أن يهلك، وإذا أردت أن تفهم المثل بصورة أدقّ نقول لك: شُبِّه التوحيد بالسماء لعلوه وارتفاعه، ولأنه أتى من السماء وهو الذي يرفع أعمال العبد إلى الله، على قدر توحيدك يُرفع عملك، فالله-عزَّ وجلَّ-يقول: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}[1] الكلم الطيب هو كلمة (لا إله إلا الله)، ما الذي يرفع العمل الصالح إلى السماء؟ هذا الكلم الطيب.

ومفهوم هذه الآية سيظهر أكثر عندما نفهم مَثَل سورة إبراهيم: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ}[2]، نفهم الآن المثل مرة أخرى: شُبِّه لك التوحيد بالسماء، في علوها وارتفاعها، وسعتها وشرفها، وهكذا هو التوحيد، عالٍ يرفع صاحبه، يشرِّفه، والذي يترك التوحيد شُبِّه بالساقط من السماء، فإما تخطفه الطير، أي الشياطين، أو تهوي به الريح في مكان سحيق، أي هوى نفسه، فتراه هالكًا في أودية الهوى، أو ترى هذا الشيطان يتخطَّفه ويوسوس له بشيء، وذاك الشيطان يتخطَّفه ويوسوس له بشيء، فترى الذين عظّموا غير الله أو تعلّقوا بغير الله في أودية مختلفة من هواهم، لكن في النهاية لا بدّ أنهم هالكون.

إذًا الموحّد ما وصفه؟ مثل المحفوظ في السماء.

والذي تعلّق بغير الله أو عظّم غير الله ما وصفه؟ كأنه سقط من السماء، والذي سقط من السماء هالك هالك، فإما يهلك بالشياطين، أو يهلك بهواه؛ لذلك كن على حذر من أن تفقد توحيدك!

- **ماذا أفعل من أجل أن يكون توحيدي مثل الكلمة الطيبة التي أصلها ثابت؟**

اتفقنا أن الطريق لثبوت كلمة (لا إله إلا الله) في القلب هو **معرفة أسماء الله وصفاته**، ثم أن الله-عزَّ وجلَّ-عرَّفك عن نفسه بالآيات التي يصف بها نفسه-سبحانه وتعالى-في كتابه، وسنختار اسمًا في العادة أنه مشوش في الذهن ومعناه ليس مفهومًا، نبتدئ به:

- اسم (المؤمن) الذي ورد في سورة الحشر.

المؤمن اسم من أسماء الله فماذا سيكون معناه؟ أنت اسمك مؤمن أي: أنك آمنت بالله، لكن اسم (المؤمن) لله يحتاج منا إلى فهم، ولقد طرحنا هذا الاسم لنرى أنه برغم أن آية الحشر محفوظة في الغالب ومعروفة، لكن اسم مثل اسم (المؤمن) الموجود في هذه الآية قد لا يكون معلومًا معناه، وهذا يجعلنا نفكر جيدًا، كيف تكون آية محفوظة ثم

(1) [سورة فاطر: 10]
(2) [سورة إبراهيم: 24]

لا أعرف معناها، ومثله لو سألنا عن (المهيمن) ومثله لو سألنا عن (السّلام)، ومثله لو سألنا عن (القدوس)! فنريد أن يكون المعنى منضبط، فهناك فرق بين الكلام الخيال، وبين الضبط.

أسألك الآن: لو سألت أحدًا قد تخرج من جامعة مثلًا، وقلت له: ما حاصل ضرب اثنان في اثنان؟ فلم يُجب، ماذا يكون شعورك تجاهه؟ أنه إنسان فاشل، وأن هذه من الأساسيات المتفق على أنه لا بد أن يكون متقنًا لها، ولا يصلح أن يقول إن الضرب هو عبارة عن جمع، ويقول اثنان، ثم يقول ثلاثة، ثم يقول أربعة، فلا يصلح أن يفعل ذلك، ولا يصلح أن يَتِيه وهو يتكلم، فلا بد أن يقول: أربعة. من دون تفكير، مع أن هذه الأربعة، واثنين في اثنين لن يُسأل عنها في قبره! ولن يحاسب إذا كان يعرفها أو لا يعرفها، ولن تكون سببًا في ثباته وقت احتضاره، ولن تكون سببًا في رفعة درجاته عند ربه، ولن تكون سببًا لزحزحته عن النار وإدخاله الجنة، ومع ذلك أصبحت من المسَلَّمات التي يُضرب أبناءنا على جدول الضرب ضربًا من أجل أن نحمله على حفظه، في مقابل ما يرددونه في سورة الإخلاص، وفي آية الكرسي، وفي الفاتحة نجد أنفسنا نريد منهم حروفه بدون حدوده وحقيقته!

هذا فقط يكشف لنا ورقة أننا أمام تجاهل لأمر من أجله خُلقت السماوات والأرض، وعندما أقول لك: من أجله خلقت السماوات والأرض! وعندي الدليل على ذلك؛ الله-عزَّ وجلَّ-في سورة الطلاق يقول: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ}[1] لماذا هذا كله؟ اللام لام التعليل {لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} فخلقك الله من أجل أن تعلم عنه، فإذا علمت عن الله أتيت بما يجب عليك كما ورد في الذاريات: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}[2]، فلن تعبده حق عبادته، أي لن تنكسر له، ماذا يعني العبد؟ أنه رافع رأسه؟ أم أنه ذليل؟ ذليلٌ منكسرٌ.

لذلك عندما تضع في الصلاة يمناك على يسراك، ورأسك مطأطئٌ في الأرض، هذه صورة العبد الذليل، لكن هذه الصورة في الخارج، والمهم في الداخل هو الذُل واقع في قلبك أم ليس واقعًا؟ فالمعنى أنك لا بد أن تحقق في قلبك-مرة أخرى قلب الحاج-الذُلّ، لا بد أن تحقق في قلبك الذل لله، لماذا ترفع رأسك؟ لأنك لا تعرف عن ربك، ولا تعرف عن نفسك، فأنت أتيت إلى نفسك وأنت (منتفخ)، وأتيت إلى ربك فجهلته، وكلما ازددت جهلًا عن الله ازددت انتفاخًا؛ لذلك تشعر أنك شيء، وأنت في الحقيقة اسمك الحقيقي (**عبد منكسر**).

(1) [سورة الطلاق: 12]

(2) [سورة الذاريات: 56]

لماذا سيد الاستغفار من قاله (موقنًا به) هذا أهم شيء، لو مات في هذا اليوم الذي قاله فيه في الصباح غُفر له ودخل الجنة، ولو قاله في المساء دخل الجنة؟ لأن فيه الاعتراف بهذه العبودية، ((اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ))[1] كل هذا اعتراف أنني عبد منكسر ولست شيئًا! فعندما أتعامل مع الله لا أتعامل على أنني شيء، بل أتعامل على أنني لا شيء.

ولذلك الدين كله دائر حول كلمتين: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} لكن حتى عبادتك يا رب لا أستطيعها بنفسي، {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}[2]؛ لذلك ورد في السنة أن تدعو بقول: ((اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ))[3] لأنك لن تستطيع أن تحقق العبادة كما ينبغي إلَّا إذا أعانك الله، **فأنت بالله، ولله، ومن الله**، وما بك من نعمة سواء كانت دنيوية أو دينية فمن الله، استقامتك، طاعتك، كلها عبارة عن عطاياه-سبحانه وتعالى-لمَّا علم من قلبك صدقك.

من أجل ذلك: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}[4] وماذا عن القوم الآخرين؟{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}[5] إذًا إذا كنت صادقًا تريد أن تأتي الحج وتصل إلى مراده ومتعلقًا كل التعلق أن يرضى عنك، لا يخيبك الله.

- **قلبك يا حاج هو سبب بركتك.**
- **قلبك يا حاج هو سبب أن تأتي إلى هذه الأماكن وتنتفع بها.**
- **قلبك إذا صلح صلُح العمل كله.**

فسبب قبول أعمالك هو ما قام في قلبك، ولا بد أن تكون على يقين لأن من أسمائه **المؤمن**.

شرح اسم المؤمن:

نأتي لكلمة: **(المؤمن، الإيمان)** يدور حول معنيين في اللغة، وأنتم تعلمون أن الله-عزَّ وجلَّ-أنزل هذا القرآن بلسان عربي مبين، فإذا أردت أن تفهم شيئًا منه لا تذهب يمنة ولا يسرة، بل أولًا ابدأ بلغة العرب.

---

(1) "صحيح البخاري" (كتاب الدعوات/ باب أَفْضَلِ الاِسْتِغْفَارِ/ 6306).

(2) [سورة الفاتحة: 5]

(3) رواه أبو داود والنسائي، وصححه الألباني.

(4) [سورة محمد: 17]

(5) [سورة الصف: 5]

- **كلمة الإيمان والمؤمن تدوران حول معنيين:**

1. **التصديق:** ولذلك في سورة يوسف قال إخوة يوسف ليعقوب-عليه السلام-: {وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ}[1] أي ما أنت بمصدق لنا.
2. **التأمين:** أي من الأمن، مثل قوله تعالى: {وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ}[2].

سنفهم كيف يوصف الله بهما، وهما (التصديق، والتأمين)

أولًا: اعلم أن الله-عزَّ وجلَّ-من وصف ذاته-سبحانه وتعالى-أنه صادق: {قُلْ صَدَقَ اللهُ}[3]،{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً}[4]،{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا}[5] إذًا وصفه-سبحانه وتعالى-أنه صادق في كل أقواله وأفعاله-سبحانه وتعالى-، ثم هو-سبحانه وتعالى-المصدِّق لنفسه، ولرسله، ولعباده المؤمنين.

إذًا معنى (المؤمن) يدور حول الصدق ويدور حول الأمن، يدور حول الصدق أي: وصف ذاته-سبحانه وتعالى-أنه صادق{قُلْ صَدَقَ اللهُ} هو مصدق، ماذا يعني؟ أولًا هو مصدق لنفسه، ولرسله، ولعباده المؤمنين.

الله مُصدّقٌ لنفسه

كما قال مجاهد وهو من أئمة التفسير قال: المؤمن ظهر معناه في قوله تعالى في آل عمران: {شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[6]، ما معنى: {شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ}؟

أي: أشهدك يا عبد بما أجراه عليك من أقدار وأحوال أنه لا أحد يستحق التعلّق ولا التعظيم إلا هو، أجرى عليك من الأقدار والأحوال التي تجعلك تؤمن يقينًا أن لا أحد يستحق التعلّق ولا التعظيم إلا هو.

إذًا (**مؤمن**) يدور حول معنيين: حول الصدق، وحول التأمين، وهو وصف ذاته-سبحانه وتعالى-أنه صادق، وهو المصدق لنفسه، أي أنه أقام أدلة على أنه لا إله إلا هو، أقامها في الكون، وأقامها في حياتك الخاصة، فهو الذي شهد أنه لا إله إلا هو، وأشهد على ذلك.

---

(1) [سورة يوسف: 17]
(2) [سورة قريش: 4]
(3) [سورة آل عمران: 95]
(4) [سورة النساء: 87]
(5) [سورة النساء: 122]
(6)[سورة آل عمران: 18]

واتفقنا على أن (لا إله إلا هو) تعني أنه لا أحد يستحق التعلّق ولا التعظيم إلا هو، فانظر حين تتعلق بغيره في الحياة ماذا يقع لك؟ فمثلًا لو وقع لك أنك تعلقت بأحد يحل لك مشكلة ما، أو يعطيك قرضًا مثلًا، ثم أشاروا لك وقيل لك إن فلانا لا يرد أحدًا أبدًا، وذهبت وقلبك كله معلق به هو، فإذا به يعطي من قبلك ويعطي من بعدك ويردك أنت! لماذا؟ هذا من تمام تصديقه لنفسه-سبحانه وتعالى-أن يعلمك أن القلوب بيده، وأنك لو تعلّقت بغيره سيذيقك مُرّ التعلق بغيره.

لذلك يأتي أحد أبنائنا فيقع في قلوبنا التعلّق به ومحبته دون إخوته، ثم يكبر، ثم يكون أقلّهم بِرًّا! أقلّهم عطاءً! ليؤدّبك الله ألا تتعلّق بغيره.

أو تأتي المرأة فتجد أن زوجها هذا كل الحياة، وليس عندها يمنة ولا يسرة إلا هو، وترى كل تفكيرها دائرٌ فيه، وتصنع له ما لا تصنع النساء، ثم تجد قلبه مصروف عنها!

ونحن ما مشكلتنا؟ نقول: عين، حسد، سحر، إلى آخر هذه التصريفات، وهي في الحقيقة **تربية من الله** بأن لا تتعلّق بغيره؛ لأنك **لو تعلّقت بغيره يربيك الله**، ويذيقك مرّ كل أحد تعلّقت به.

الناس الآن الذين من حولك كلهم مستورون، ما أن تتعلق بهم إلا ويكشف الله لك سترهم، فلما يزيد تعلّقك بهم يصرف الله قلوبهم عنك، فيقع في قلبك أنك تكتشف حالهم على الحقيقة، حال محبتهم وأنهم لا يستحقون هذه المحبة والتعلق.

وأنتم تعرفون أن الحب يُعمي ويصم، ويبقى الإنسان يحب ويحب، ثم الله-عزَّ وجلَّ-يكشف له حقيقة المحبوب، فيرى من عيوبه التي كان أعمى عنها، فاتركه مستورًا ولا تُظهر عيوبه، أتعرف كيف؟ خَفِّف تعلقاتك بالناس، ولا تجعل الابن، أو الزوج، أو الجار، أو المال هم سبب سعادتك، إنما كما قال الله-عزَّ وجلَّ-: {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى}[1]، {وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا}[2] إذًا هذه المشاعر تجعلك لا تتعلق حتى بلقمة تأخذها من الدنيا.

لذلك في الحديث: ((يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ))[3] هل نحن نشعر بهذه المشاعر؟ يؤدّبنا الله عندما نفقد مشاعر القوة في التعلّق، فلا تأكل لقمة إلا إذا رزقك الله، ولا تشرب كأس ماء إلا إذا رزقك الله، ولا تلبس ملبوسًا إلا إذا رزقك الله، هذا

(1) [سورة النجم: 43]
(2) [سورة النجم: 44]
(3) "صحيح مسلم" (كتاب البر والصلة والآدب/ باب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ/ 6737).

كله كلام في الهدوء، لكن في المواقف نشعر أننا نحن الذين نطبخ لأنفسنا، ونحن الذين نؤكل أنفسنا، ونحن الذين نسقي أنفسنا، فإذا طغى في قلبك تعظيم ذاتك، أو التعلق بذاتك، أو التعلق بالمخلوق، أو التعلق بالراتب، أو التعلق بالبنك يربّيك الله ويكشف لك حقيقة المسألة.

فأنت الآن ليس بينك وبين مأكولك هذا إلا أمتار، فمثلًا في الغالب في رمضان عندما يفطر الناس في الحرم تكون الدنيا زحام، فيأخذون أكلهم معهم، وعندما يدخلون الحرم ممكن أن يضيعوا، فأبتعد عن ابنتي ومعها الأكل وأنا أجلس، ويؤذن المغرب ويفطر الناس وأنا أنظر إليهم وما أكلت شيئًا، لماذا؟ **لأنني لا يطعمني إلا الله**.

فكل هذه المواقف لتربيك، تفهم أنك في الحقيقة لا يطعمك إلا الله، لا تنتظر الشدة، تعبّده في الرخاء، أي عندما يصل إلى قلبك هذا المعنى جيدًا ستبقى مؤمنًا يقينًا أن الله هو الذي أطعمك وسقاك، لكن المشكلة في قوة استحضار هذا المعنى.

المقصد الآن: أن الله يشهدك بمواقف كثيرة أنه لا أحد يستحق التعلّق ولا التعظيم إلا هو، وكل واحد في حياته عنده قائمة من المواقف، يعرف أنه عندما تعلّق بفلان، بالحملة، بالمال، كيف أن الله-عزَّ وجلَّ-خذله في هذا، وأراه عَواره، ففلان إنسان مرتَّب ومنظم ولا ينسى أعماله، لكن حين تأتي وتعامله ينساك! يترك أعمالك! تضيع ورقتك! فنحن نظل نفكر بأن هؤلاء مهملون وهؤلاء كذا وكذا، ولا تتصور **أن الله يريد أن يربيك أن لا تتعلق بغيره، ولا تعظم غيره، ولا تخف من غيره**.

لذلك عندما تأتي أحداث في الخوف-كما هو الحاصل هذه الأيام من الخوف من الأمراض مثلًا-فترى أن الله-عزَّ وجلَّ-يربيك، فتكون في مكانك مغلقًا عليك الباب فيأتيك المرض! ثم تخالط الناس فيحميك الله! من أجل أن تفهم ماذا؟ كما أتى الأعرابي للرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-وقال: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ الْبَعِيرَ يَكُونُ بِهِ الْجَرَبُ، فَيُجْرِبُ الإِبِلَ كُلَّهَا؟ قَالَ: ((ذَلِكُمُ الْقَدَرُ، فَمَنْ أَجْرَبَ الأَوَّلَ؟))[1]؟ أولهم من أتى له بالجرب؟

الذي أتى بالجرب للأول هو الذي ينقله للثاني والثالث، معنى ذلك أن المرض ليس بنفسه ينتقل، فإذا كان مكتوبًا لك لو دفنت نفسك تحت التراب سيأتيك، وإذا كنت محميًا محفوظا سيحفظك الله، ستقول لي: الأخذ بالأسباب؟!

(1) رواه الترمذي وابن ماجه في سننهما وصححه الألباني.

نقول: انتبه! لا تجعل الأسباب إلهًا من دون الله، أنت الآن تعلم أن هذه الأسباب التي يملكها هو الله-عزَّ وجلَّ-، ثم لما أراد الله بسبب قوة يقين إبراهيم-عليه السلام-وبسبب أنه ما تعلق بأحد حتى بجبريل-عليه السلام-فلما أتاه جبريل وهو يلقى في النار، فقال له: (ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، وأما إلا الله فحسبي الله ونعم الوكيل)، فجعل الله بسبب هذا اليقين النار بردًا وسلامًا، فقدت قدرتها على التسبب والإحراق.

والنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-لما قال له الناس: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}[1] أي أن هذا البلاء المخيف الذي يخاف منه الناس كان سببًا لزيادة إيمان الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-والصحابة-رضي الله عنهم-، زادوا إيمانا وقالوا: **(حسبنا الله)**: أي كافينا كل ما أهمنا.

وفي هذا السياق قال الله-عزَّ وجلَّ-: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}[2] أي: من كان وليًا للشيطان تمكَّن الشيطان من تخويفه، ومن كان وليًا للرحمن كفاه-سبحانه وتعالى-.

إذًا اعلم أن الله مؤمن، أي: مصدّق لنفسه، يُظهر لك في الأحداث التي تعيشها في حياتك أن كل الناس لهم وصف واحد، فقراء: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللّهِ وَاللّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}[3] و**(هو)**: ضمير يدل على الاختصاص، أي هو وحده الغني الحميد.

فانظر إلى من أردت من الأغنياء، واعلم أنهم في حقيقتهم فقراء، فأموالهم إما أن تزول عنهم أو يزولون عنها، ولا يملكونها ويتصرفون فيها بأمر أنفسهم، فمن يعرف الحقيقة ويفهم هذه المسألة جيدًا، يعرف أنهم حتى أموالهم لا يستطيعون أن يتصرفوا فيها بأمر أنفسهم، بل في غالب الأحوال يأتيهم ما يدفعهم لأن يتصرفوا، ولو كان الزوجات، ولو كان الأبناء، ففي نهاية الأمر لا تجد أحدًا له القرار المستقل-كما نعبر-لابد أن تكون هناك ضغوط من كل الجهات، فيتصرف بناء على الضغوط.

المعنى: اعلم أن الله صدّق نفسه أنه لا إله إلا هو، واعلم أنه-سبحانه وتعالى-أراك فيما يجري عليك من أحداث أنه لا أحد يستحق التعلّق ولا التعظيم إلا هو، فلا ترجو إلا إيّاه، ولا تخف إلا من عدم رضاه، هذا هو الذي تحمل همه، ثم اعلم أن الله تعالى علَّق رضاه بأمور يحبها، فأنت من إيمانك به تحب ما أحبه الله، وتبغض ما أبغضه الله، إذًا هذا أول معنى في اسم المؤمن.

---

(1) [سورة آل عمران: 173]
(2) [سورة آل عمران: 175]
(3) [سورة فاطر: 15]

❖ **مراجعة سريعة لما سبق:**

اسم المؤمن يدور حول التصديق، والتأمين، في التصديق أخذنا كلمتين قلنا وصف ذاته-سبحانه وتعالى-الصدق: {قُلْ صَدَقَ اللّهُ} ثم أنه-سبحانه وتعالى-مصدّق لنفسه، ولرسله، ولعباده المؤمنين، فإذا أتى مصدقًا لنفسه لا تنسَ آية آل عمران: {شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ} أي: أشهدك أن لا أحد يستحق التعلّق والتعظيم إلا هو، فلا ترجو إلا إيّاه، ولا تخف إلا من سخطه.

لـ **الآن ننتقل للمعنى الثاني: وهو-سبحانه وتعالى-مصدق لرسله.**

نتناقش آخر وجه في سورة فصلت، وهذه الآية دائمًا يُستشهد بها، ونريد أن نفهمها جيدًا.

قال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (52) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاء رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ (54)}[1].

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ} أي القرآن: {ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} القرآن مَن أتى به؟ الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-فالله-عزَّ وجلَّ-يخاطب قوم الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-، أنه لو كان القرآن من عندي ثم كفرتم به ماذا سيحصل؟ ستكونون في ضلال بعيد.

ثم يُطَمئن الله-عزَّ وجلَّ-رسوله أنه سيصدّقه وسيظهر صدق رسالته، فهم قالوا: الأنبياء كلهم جاؤوا بمعجزات لكن لم تكن كلامًا، فرد الله-عزَّ وجلَّ-عليهم{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}وهو القرآن، الضمير عائد على القرآن؛ لأننا في السياق نتكلم عن القرآن، فالله-عزَّ وجلَّ-سيُري الناس الآيات في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أن هذا القرآن هو الحق، فيشهد لرسوله بذلك؛ أي أن آية فصلت أول شهادة من الله لصدق رسوله أنه سيري الناس في الآفاق وفي أنفسهم تبين لهم أن هذا القرآن حق، إذًا **هذا من شهادة الله-عزَّ وجلَّ-لرسوله.**

الأمر الثاني: قال الله-عزَّ وجلَّ-: {أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} هذا هو التصديق الثاني للرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-، فالله-عزَّ وجلَّ-يقول لقوم الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-ألا يكفيكم أن الله على كل شيء شهيد؟ أي أنه-سبحانه وتعالى-شاهد عليكم بكل شيء، شاهد على كل شيء صغيره وكبيره، فلو كان

(1) [سورة فصلت: 52-54]

النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-كذّاب لما كان أعلى الله له راية، ولا رفع مقامه، ولا فتح له الأرض، ولا فتح له القلوب، ألا ترى الأسود العنسيّ ادَّعى النبوة فأظهر الله كذبه، و غيره وغيره ممن ادعى النبوة؟!

إذًا لا يمكن أن يكون الرسول يكذب على الله، والله-عزَّ وجلَّ-مُطَّلع على كذبه، ويتركه يتكلم والرسول كاذب!-وحاشاه-صلى الله عليه وسلم-، لابد أنه لو وقع هذا أن الله-عزَّ وجلَّ-سيأخذه أخذ عزيز مقتدر.

إذًا الله-عزَّ وجلَّ-أشهد الناس على صدق الرسل، ومن بينهم الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-، كيف أشهدهم على صدقه؟ بأمرين:

1) **سيريهم آيات في الآفاق وفي أنفسهم حتى تبين لهم أن القرآن الذي جاء به النبي-صلى الله عليه وسلم-حق، إذًا يصدق الرسول.**

2) **والشهادة الأكبر أنه مطَّلع-سبحانه وتعالى-على أحواله**، ومع ذلك رفع النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-وانتشر الدين، وحصل للنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-من النصر العظيم ما يشهد به الجميع، فلا يمكن أن يكون يكذب على الله والله-عزَّ وجلَّ-ينصره! فقد قال تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (46) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (47)}[1] أي لا بدّ أنه-سبحانه وتعالى-يُعاقب من يكذب عليه، ثم علَّل الله-عزَّ وجلَّ-في آخر الآية على أنهم{فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاء رَبِّهِمْ} أي: أن هذا هو السبب: {أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ}.

إذًا الله-عزَّ وجلَّ-مصدّق لنفسه، وهنا تذكر آية آل عمران، ونحن هنا نأتي بأمثلة فقط لتبقى المسألة محفوظة بمثال.

أولًا: أنه مصدّق لنفسه، ومن الأدلة على ذلك آية آل عمران: {شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ}.

ثانيًا: أنه-سبحانه وتعالى-مصدّق لرسله، ومن أمثلة ذلك آية سورة فصلت.

ثالثًا: مصدّق لعباده ما وعدهم به.

أنتم تعرفون أن الله-عزَّ وجلَّ-مؤمن أي: مصدق بوعده الذي وعد به عباده، وأريد منكم أن تذكروا شيئًا من وعود الله للمؤمنين في الدنيا:-

(1) [سورة الحاقة: 44-47]

- قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}[1].
- قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}[2]

هل فقط الذي نستحضره من وعود الله لنا؟! كم مرة وأنا أقرأ في كتاب الله بحثت عن وعود الله؟ هل أنا أعرف وعود الله جيدًا وأستحضرها؟ ولو قال لي أحدهم: هات لي عشرة أمثلة من وعود الله للمؤمنين تكون المسألة واضحة، نجد ضعفًا، فمن لا يعرف وجود الله فكيف ينتظرها؟!! فالذي لا يعرف الوعود لا ينتظرها.

فهذه أول مسألة يجب أن نتناقش فيها، لكي تؤمن باسمه المؤمن الذي من معانيه أنه يحقّق وعده للمؤمنين: تعلَّم وعود الله في كتابه وعلى لسان رسوله-صلَّى الله عليه وسلَّم-.

- {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}[3].
- {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)}[4] إذًا أول مشكلة نحلها بأن نهتم بوعوده-سبحانه وتعالى-.

قوله تعالى: {وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا}[5] مثلًا: شخص خائف من أحد، أو حرب، أو أي شيء، نقول له: افعل فعلين ليأتيك الوعد، قال تعالى: {وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا} هذا الوعد لو غاب يبقى المرء متخبطًا وقت خوفه، فما الإشكال الآن؟

لتؤمن باسمه المؤمن، وأنه-سبحانه وتعالى-يحقق وعوده:

أولًا: تبذل جهودك أن تتعلم وعود الله:

أن تتعلَّم وعود الله-وأسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يشرح صدورنا ونتعلم وعوده من كتابه-**فعش الحياة وأنت منكبًا على كلام الله**، تفهم عنه مراده-سبحانه وتعالى-. إذًا هذه أول خطوة.

ثانيًا: لابد أن تفهم معنى الوعد، وأوصاف الموعود:

(1) [سورة إبراهيم: 7]
(2) [سورة آل عمران: 153]
(3) [سورة الطلاق: 2-3]
(4) [سورة البقرة: 186]
(5) [سورة آل عمران: 120]

مثال، قال تعالى: {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ} ما معنى شكرتم؟ أولًا: انسب النعمة كلها بتفاصيلها إلى الله، وانسَ الأسباب نسيانًا تامًّا، لا تتذكر ولا كلمة من الأسباب، فبعد أن تأتيك النتائج اكفر بالأسباب، ارمها وراءك تمامًا؛ لأنك لا بدّ أن تفهم أنها فتنة.

إذًا أول الشكر هو أن تكفر بالأسباب تمامًا، ثم تعتقد أن الله هو المنعم، ولا يكن حالك مثل ما وصف الله في سورة الزمر: {فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا}[1] منّا وليس من أحد آخر{قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (49)}[2]، وهذا مثلما لو كان أولادي عندهم اختبارات وخائفين منها، وأنا أقول: يا رب وفقهم، وأذاكر لهم، وأدعو لهم، ثم إذا نجحوا ولله الحمد في الاختبارات يأتي ولدي فأقول له: أرأيت كيف؟ أنا ذاكرت لك، وعلمتك، وتقول له: احمد ربك، أرأيت كم أمك فاهمة؟! إلى آخره، وقد يدرس ولا ينجح، فيكون أخذ بالأسباب وما يوفقه الله، التوفيق بيد الله، والخذلان بيد الله، وليست المشكلة الآن في المَنّ، المشكلة هنا: {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ} أي أن ولدي هذا نجح بعلمي أنا، فماذا قال الله-عزَّ وجلَّ-؟ {بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ} وأين المشكلة؟ {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} هذه هي المشكلة.

المهم أنه عندما يؤتيك السبب اعلم أنه فتنة، وعندما يعطيك إياه-وهذا من إيمانك باسمه الأول-اطلب منه أن ينفعك به، فإذا نفعك به اكفر بالسبب؛ لذلك يقال لك: {أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ}[3] (بذرة-تربة-شمس-ماء) كل هذا مِن أين؟ مِن الله تعالى، حتى قدرتك على الحرث مِن حول الله وقوته، فمَن فالق الحب والنوى؟ مَن مخرج الثمرات؟ إذًا يصبح {أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ}،{بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[4].

إذًا انظر إلى نفس الوعد {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}[5] نفس فعل الشكر نحن لا نفهمه كما ينبغي، فكيف تأتي{لأَزِيدَنَّكُمْ}؟! **فمن الشكر الكفر بالأسباب**، فبعد أن تأتيك النعمة لا تلتفت إليها أبدًا وتقول: أنا فعلت وأنا تركت، وهذا لأننا مباركون، وهذا لأن أرضنا كذا، بل اكفر بالأسباب، قل كفرت بكم وآمنت بالله؛ لذلك من لطفه أنه يربيك في مواطن عطايا بلا أسباب؛ لتفهم أن الأسباب ملك له-سبحانه وتعالى-وهذا لا يعني أن لا تأخذ الأسباب بل الله خلق الكون على التسبب، **خذ السبب لا إشكال، لكن قلبك لا يتعلق بها**، ثم إذا أتت

(1) [سورة الزمر: 8]
(2) [سورة الزمر: 49]
(3) [سورة الواقعة: 49]
(4) [سورة الزمر: 49]
(5) [سورة إبراهيم: 7]

النتيجة، لا تكلمني عن السبب، لا تكلمني إلا عن الله، ولا تنسوا آية الزمر؛ لأن الله-عزَّ وجلَّ-قال: {بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} هذه هي المشكلة، أن أكثر الناس لا يعلمون حقيقة بأن الله فتنهم بالأسباب.

إذًا انظر: {لَئِن شَكَرْتُمْ} نفس (شكرتم) عندنا مشكلة فيها، نحن نشعر بأن أقول: الحمد لله. وانتهى الأمر، هذا هو الشكر، أو أتصدق وانتهى الأمر، أي أنني حولته من مجرد قول باللسان إلى عمل، نقول: لا، أول الشكر:

الكفر بالأسباب، ثم نسبتها إلى الله والثناء عليه في كل مكان.

الثناء عليه أي: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}[1] نقول: كنّا في همّ وضيق وفرج الله لنا، كثَّر الله لنا، أرانا عجائب قدرته، عاملنا بلطفه، جبر قلوبنا باسمه الجبار، ولا يلزم أن تذكر التفاصيل، لكن ابق مثنيًا على الله.

نحن عندما نحب (ماركة) من (الماركات) ونشتريها، انظر إلى النساء عندما يجتمعن ويتكلمن عن ماركة ما، كأنهم أصحاب المحل من كثرة ثنائهم على (الماركة) أي أننا نثني على الدنيا وعلى أهلها، والله-عزَّ وجلَّ-لا نجد في مجالسنا ثناء عليه، وإذا أثنينا عليه بكلمتين (الحمد لله) بعدها نقول: لكن! ونأتي بكل المشاكل التي نحن فيها، اثنِ على الله، كلّم الناس عن:

- ✓ جبره.
- ✓ عن لطفه.
- ✓ عن عطائه.
- ✓ عن رزقه.
- ✓ عن حلمه علينا.
- ✓ ستره علينا-سبحانه وتعالى-.
- ✓ تجميلنا في نفوس الناس.

ونحن نعلم أننا لو كُشف عنا الغطاء لكره الناس السّلام علينا! نسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يغفر لنا ما خفي من ذنوبنا، نسأله-سبحانه وتعالى-بمنّه وكرمه أن يعاملنا بفضله ولا يعاملنا بعدله-سبحانه وتعالى-

المقصد الآن: أرأيت أن وعدًا واحدًا ليس عميقا في داخلنا كما ينبغي، فكيف سيكون إيمانك باسم (المؤمن)؟! معنى ذلك أنه لابد أنه سيكون ناقصًا، {لَئِن شَكَرْتُمْ} وحدها، لا نفهم معنى{شَكَرْتُمْ} نفسها؛ ولذلك عندما يُمدح المخلصون الذين يعرفون أن المنّة كلها لله، فانظر إلى سورة الإنسان ماذا يقول الأبرار بعد أن أنفقوا وأعطوا:

(1) [سورة الضحى: 11]

{لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا}[1]،فأنت طيّب خوطر الناس بكلمة: (شكرًا) التي على لسانك، أما الوجدان فقد استقر فيه حمد الله وحده، وهذا هو التوحيد؛ لذلك في الفاتحة تقولين: {الْحَمْدُ لِلَّهِ}[2] أي أن الحمد كله لله.

نحن نتكلم في تصديق الله لعباده المؤمنين، وقلنا إن هناك ثلاثة أمور في تصديق الله لعباده المؤمنين:-

⇐ **الأول: أن تعرف وعود الله.**

⇐ **الثاني: أن تفهم معنى أوصاف الموعود.**

⇐ **ثالثًا: أن تعرف كيف يعطيك الله وعده.**

ما معنى ذلك؟ في نفس المثل {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ} ما معنى (لأزيدنكم)؟ لأزيدنّكم مِن:

- ✓ الأجر.
- ✓ ومن الشكر.
- ✓ من الإيمان.
- ✓ من البركة.
- ✓ من انشراح الصدر.

أي: ليس الأمر هو أن تدفع ريالًا، فتأخذ ريالين، ولا أن تدفع مائة فتأخذ مائتين، لا، ليس شرطًا، ليس هذا معنى الزيادة، بل قد تزداد علمًا، تزداد رضا عن الله، تزداد بركة في أوقاتك وفي أعمالك، تزداد انشراح صدر، تزداد بركة في أولادك، كل هذا معناه لأزيدنكم، فهي مطلقة، فعندما لا يفهم الشخص وعد الله نفسه يقول: أنا شكرت وما رأيت الزيادة! لأنه يظن أن الزيادة من نفس الجنس، مائة تساوي مائتين، وثلاثمائة تساوي ستمائة، فهذا كله يعيد إيمانك أن الله وعدك ولا بد أن يَفيك وعده.

المهم أن تعرف وعود الله، وتفهم الشرط الذي عليك: ماذا يجب عليك؟ مثلًا: {إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}[3] ماذا يعني (صابرين)؟ ما معنى أن تصبر؟ هل الصابر هو الذي لسانه منطلق بالشكوى على المصبور عليه؟! زوجك مثلًا: من منّا صابر على زوجه؟ لو أردنا أن نأتي بمقياس صحيح تجد أنه لا أحد! فالشرط أن يكون الصبر الجميل، فما دمنا نتكلم، ونشتكي فهذا ليس بصبر، الصبر لا بد أن يكون جميلًا، {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ

(1) [سورة الإنسان: 9]
(2) [سورة الفاتحة: 2]
(3) [سورة البقرة: 153]

الْمُسْتَعَانُ}[1]، وليس معناه أن أحبس نفسي ولساني، ومن الداخل أنا متسخط على قدر الله، ثم بعد التسخط أقول: يا رب أعطني الأجر وكن معي ووفقني وسدّدني!

المهم ألا نكذب على أنفسنا، أطلق لساني ساعة وأنا أتكلم عن زوجي، ثم أغلق سماعة الهاتف وأقول: الله يصبرني! فعلى ماذا الله يصبرك وقد خرجت من وصف الصبر؟ شكرت نفسك، أو تكون قد أثنيت على نفسك ثناء بأنك تفهم، وأن لك الخبرة في الموضوع ثم تقول: أشكر الله-عزَّ وجلَّ-! ليس هذا هو شكر الله، لابدّ من توحيده في الشكر.

فهذا الكلام كله نخرج منه بنتيجة، وهي أنك عندما تسمع وعد الله لا تقل على وعد الله (إن شاء الله)، مباشرة إذا سمعت أن الله مع الصابرين، تقول: نعم، الله مع الصابرين. لكن عندما تتكلم عن نفسك يمكن أن تعلقها بالمشيئة؛ لأنك تتكلم عن نفسك، فأنتم الآن تعيشون مرحلة الصبر على طاعة الله.

(1) يوسف18.

لقـــاء
قلب حاج
اللقاء الثاني الفترة (١)
ألقي يوم الثلاثاء
٧-١٢-١٤٣٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو اليوم الثاني في لقاءاتنا اسأل الله أن ينفعنا وينفعكم بما نسمع ويجعل حجنا مبرورًا مقبولًا اللهم آمين.

اتفقنا أن لقاءنا يسمى (**قلب حاج**)، **واتفقنا لماذا نهتم بقلوبنا أصلًا؟** نريد جملة مفيدة، هناك أسباب كثيرة تجعلنا نهتم، وأهم شيء الأدلة:

- **السبب الأول**: القلب محط نظر الربّ-سبحانه وتعالى-: ((إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))[1].
- **السبب الثاني**: سبب صلاحك هو قلبك: ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّه))[2].

إذًا الله-عزَّ وجلَّ-لا ينظر إلا إلى قلبك، والأمر الثاني هو: أن سبب صلاحك هو قلبك.

- **السبب الثالث**: سبب نجاتك عند الله، قال تعالى: {إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}[3].

وهناك أسباب كثيرة غير هذه وأدلة كثيرة لكننا اكتفينا بهذه الثلاثة.

معنى ذلك أن **حجّك ميزانه على قدر صلاح قلبك**، واتفقنا أنك في هذه الأماكن المباركة، وهذه الأزمنة المباركة، وهذه الأعمال المباركة، ليس لديك إلا إناءً واحدًا تغرف فيه البركة وتحملها فيه وتعود به إلى أهلك ودارك، ألا وهو **قلبك، فعلى قدر صفائه وصدقه وصلاحه يمتلئ بركة**.

لذلك وأنت تقوم بهذه الشعائر التي هي عبارة عن انتقالات، انظر إلى نفس هذه الشعائر عبارة عن ماذا؟ أنت فقط تحبس نفسك في مكان مختلف عن مكانك وعن بيتك، تأكل وتشرب وتقوم بالعبادات التي كنت تقوم بها هناك، **لكن ما الفارق بين عبادتك هنا وعبادتك في الحج؟**

لابدّ أن تتصور أن في الحج توجد عبادات قلبية لا توجد في بلدك، ما هي أهم العبادات-كما اتفقنا-في سورة الحج؟ **التوحيد والتعظيم**، وإن كان التعظيم هذا سيكون في داخل التوحيد، فاتفقنا أنه لابدّ أن يمتلئ قلبك توحيدًا

---

(1) رواه مسلم (سبق تخريجه)

(2) رواه البخاري (سبق تخريجه)

(3) [سورة الشعراء: 89]

وتعظيمًا من أجل أن تنتفع بهذه الأزمنة المباركة، وهذه الانتقالات المباركة، وهذه الأعمال المباركة، ثم بدأنا نناقش **هذا القلب ماذا يُصلحه؟**

اتفقنا أن الذي يُصلحه هو **التقوى** كما اتفقنا في أول آية أتت في سورة الحج، وذكرنا أن هناك أصنافًا من الناس بعيدون عن التقوى، ففي سورة الحج ذكر ثلاثة أصناف:-

1. **المجادل بغير علم وإنما يتبع غيره في هذه المجادلة.**
2. **الذي يجادل وهو رأس.**
3. **يعبد الله على حرف.**

هذا أكثر ما يخيفنا الذي يعبد الله على حرف؛ لأن أحواله قريبة، فأحيانًا في المجادلة تقول: أنا ليس لي علاقة بالأحوال الشرعية، ولن أناقش وسأتبع، وما عليكم إلا أن تقولوا لي إن هذه هي الهداية وأنا سأهتدي، فهناك أناس ابتلوا بالجدل، لكن الذي يعبد الله على حرف هذا هو **الوصف المخيف**، فلما أتينا إلى سورة يونس، وإلى سورة هود، وجدنا أن الذي يعبد الله على حرف ما حاله؟

قال تعالى: {وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ}[1] له وصفان:

1) **يؤوس**: أي أنه عندما يكون في أزمنة البلاء يشعر أن الأمر انتهى ولن يصلح الحال أبدًا.
2) **كفور**: ينسى ما مضى من تفريج الله له في الكرب.

ثم إذا فُرجت الكربة في الآية التي بعدها قال: {ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي}[2] **نسب الذهاب إلى السيئات نفسها وليس إلى الله**، فهذا وصف شخص يعبد الله على حرف، ففي سورة الحج قال الله-عزَّ وجلَّ-: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}[3] أي اطمأنّ أن هذا الدّين صحيح، وإذا أصابه ما لا يناسبه انقلب على وجهه، ماذا يعني ذلك؟ أي أنه أصبح يؤوسًا كفورًا، فهذه الحال ليست شرطًا أن تكون في المصابات العظيمة؛ لأن الآية فيها كلمتين: (أذقنا) و(مَسّ) أي: مجرد مسّ من الألم تنقلب نفسيّة الشخص ويشعر باليأس ولا يرجو رحمة الله، كل هذا يناقض أن يكون قلبك ممتلئ بحسن الظن بالله.

---

(1) [سورة هود: 9]
(2) [سورة هود: 10]
(3) [سورة الحج: 11]

فالمطلوب منك في حياتك كلها أن تشعر بيقين أن الله-عزَّ وجلَّ-كامل الصفات ولا يأتي من الله إلا كل خير، فإذا وقع عليك من الاضطرابات والأحوال ما يؤلمك، لا بد أن تبقى راجيًا رحمة الله، لكن أن يقع منك اليأس السريع، ثم الفرح السريع بالدنيا، ثم أول ما يأتي كرب تيأس، يأتي ما يناسبك تفرح وتنشغل به، وهكذا وهكذا! فهذه أفعال شخص ليس مطمئنًا لأفعال الله.

- **ثم انتقلنا من هذه الأحوال الثلاثة للناس إلى الكلام حول ما أمر الله به هذا الحاج:**
- قال الله-عزَّ وجلَّ-: {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ}[1].
- وفي الآية التي بعدها: {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ}[2].

فعلمنا أن من المهمات المهمة التي تأتي بها في هذا المكان أن يكون قلبك معظمًا لهذه الأماكن، لا تتعامل معها كما تتعامل مع بلدك، أو مع بيتك، أو في الأحوال العادية التي تعيشها، هذه الأرض عظَّمها الله، **فمن تعظيمك لله تعظيم هذه الأماكن**، ثم لو كنت ترتكب ذنبًا، أو معصية، أو مخالفة في بلدك، من المفروض هنا أن تقلع عنها وتتركها، حتى لو كان في مسألة تشعر أن فيها حرج في قلبك وأنت لست متأكدًا هل هي حرام أو حلال، فهنا لا بدّ من تعظيمك لشعائر الله أن تترك كل ما يكون فيه شبهة.

لذلك هذا الأمر مصلح يزيد في صلاح حجّك، أن كل أمر فيه شبهة ولست متيقنًا أنه ذنب، لكن فيه شبهة، من تعظيمك لله-عزَّ وجلَّ-وتعظيمك لهذه الأماكن أن تترك الفعل؛ لذلك تنتفع بالحج:

* على قدر تخلية قلبك من المعصية.
* وعلى قدر توبتك الصادقة.
* وعلى قدر إقبالك على الله.

واتفقنا أننا بحاجة إلى التوحيد لأن الله-عزَّ وجلَّ-قال: {حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ}[3] وقلنا إن هذا حال من يقع في قلبه تعلّق بغير الله، أو يقع في قلبه تعظيم لغير الله، فكان في التوحيد كأنه في السماء محفوظًا عاليًا، فإذا وقع في التعلّق بغير الله كأنما سقط من السماء، فمن المؤكد أن هذا هالك، لا بد، كما أن شخصًا ترك التوحيد لابدّ أن يهلك.

---

(1) [سورة الحج: 30]
(2) [سورة الحج: 32]
(3) [سورة الحج: 31]

وعلى ذلك أساس كل أعمالك كما اتفقنا هو توحيدك، وانتقلنا إلى سورة إبراهيم وقلنا إن الله ضرب لنا مثلًا عظيمًا لتفهم معنى التوحيد وترى مكانته وقيمته، لنفهم المثل بالتفصيل ونبتدئ من عنده ونكمل كلام اللقاء الماضي:

- قال الله تعالى : {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (26) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاء}[1]

انظر إلى هذين المثلين ثم عُد إلى الآية (18) في نفس السورة، هذا هو المثل الثالث في نفس السورة، فسورة إبراهيم فيها ثلاثة أمثال وكلها متصلة ببعض {مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ}[2] ما هي هذه الصورة؟

أي: أن من فقد التوحيد أعماله التي يتقرب بها إلى الله–فأنتم تعلمون أن كثيرًا من المشركين يعبدون غير الله ويتوسلون بالحسين وبعلي وبعبد القادر وبهود وبما يريدون من غير الله، هؤلاء يصومون ويصلون ويتصدقون ويتقربون لكن أعمالهم كلها–كأنها بُنيت جبلًا من رماد، ثم إن هذا الرماد أنت تراه جبلًا عندما يكون متراكمًا على بعضه فتغتر به، تراه جبلًا من رماد، لكن انظر إليه عندما تأتي عليه ريح عاصف ماذا تفعل به؟ {لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ} أي تصبح هذه الأعمال كالرماد لأن الشرك أحرقها، أحرق الأعمال فأصبحت كالرماد في خفتها فتصبح لا شيء.

معنى ذلك الآن أن كثيرًا من الناس يغتر بالأعمال بعيدًا عن التوحيد، ويرى أن مسألة التوحيد والشرك ليست فاصلة في أعمال العبد، فنقول: لابدّ أن تنتبه لما ضرب الله من أمثال، فمَثَّل الله–عزَّ وجلَّ–أعمال الذين كفروا، أعمال مَن وقع في الشرك، أعمال مَن تعلّق بغيره وعظّم غيره وطلب من غيره ورجا غيره، كأنهم في هذه الأعمال التي جمعوها أحرقوا أعمالهم بنار الشرك فأصبحت أعمالهم رمادًا، وهذا الرماد قد تغتر به لأنه متراكم فوق بعضه، لكنه كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء، أي أنهم فعلوا أفعالًا ثم يأتون إلى يوم القيامة ويعتقدون أن هذه تنفعهم، فلا تنفعهم، إذًا **ما الذي ينفع؟**

---

(1) [سورة إبراهيم: 24-27]

(2) [سورة إبراهيم: 18]

قال الله-عزَّ وجلَّ-: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ(24)} هذا الذي ينفع.

نرى الآن الشجرة التي وُصفت في الآية، وركزوا جيدا لأن هذا حالك أنت، أي أنك يا مؤمن مثل الشجرة، فيها ثلاثة أمور وأنت سيكون فيك ثلاثة أمور، لو تحققت الثلاثة ستكون الكلمة فيك طيبة، ثم ليس فقط تكون طيبة، بل يأتي الوعد: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاء (27)} فهذه الآية بعد المثل، بعد أن مثَّل الله لكلمة طيبة، ثم مثَّل لكلمة خبيثة، ثم قال: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاء}، فإن كنت تريد أن تكون من أهل الثبات؟-نسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل الثبات-افهم جيدًا هذا المثل؛ لأن الله بعدما ضربه قال لك: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ}.

انظر الآن إلى هذه الشجرة كما ورد في صحيح البخاري أنها النخلة، وتذكرون حديث ابن عمر عندما سأل الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-الصحابة عن شجرة تشبه المؤمن في البوادي، تؤتي أكلها كل حين فسكت القوم وكان ابن عمر يعلم الإجابة، فاستحى أدبًا من عمر ومن أبي بكر-رضي الله عنهما-ثم قال النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-إنها النخلة؛ فمثَّل هذه الكلمة الطيبة كشجرة طيبة، فهذه الشجرة الطيبة **المقصود بها النخلة**، نرى الآن الشجرة الطيبة.

هذه الشجرة الطيبة لها ثلاثة أوصاف في الآية:-

1. **أصلها ثابت.**

وهذا أول شيء وأهم شيء.

2. **فرعها في السماء.**

أي أن ساقها والفروع منه عالية في السماء.

3. **تؤتي أكلها كل حين.**

وهذه هي الثمرات.

فأنت الآن يا مؤمن، قابل نفسك بهذه الثلاثة أوصاف التي في الشجرة:-

1. **شيء ثابت في القلب: (لا إله إلا الله)**

أما الشيء الثابت في القلب فهو مثل الجذر الثابت في الأرض وهو كلمة (لا إله إلا الله)، لابدّ أن تكون ثابتة، فسنرى أن هذه الكلمة ممكن أن تنطق باللسان وليست ثابتة في القلب، فنحن نقاشنا كله منذ اللقاء الماضي إلى اللقاء هذا حول **كيف تثبت هذه الكلمة؟** أي: كيف تأتي إلى ربك في هذه الأيام الفضيلة، فتكون كلمة (لا إله إلا الله} ثابتة في قلبك فيصبح فرعك في السماء.

2. **شيء عالٍ: (الفرع الذي في السماء).**

ما معنى فرعك في السماء؟ أي أن هذه الكلمة الطيبة تكون سببًا في رفع أعمالك إلى الله، فكما أن هذه الشجرة أصلها ثابت وفرعها عالٍ كذلك المؤمن كلمة (لا إله إلا الله) ثابتة في قلبه وهي التي تخرج أعمالًا يقبلها الله؛ لأن {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}[1] **ماذا يعني يرفعه؟** هناك خلاف في عود الضمير، لكن الذي يطابق هذا المعنى أن العمل الصالح ما **الذي يرفعه؟** الكلم الطيب، قال أهل العلم: الكلمة الطيبة هي (لا إله إلا الله) فأصبح هذا هو الكلم الطيب، فأصبحت هي (لا إله إلا الله) وهي التي تكون سببًا في رفع العمل الصالح.

أنت عندما تقرأ في التفسير ستجد أن الضمير يعود على ثلاثة معان، الذي اختار هذا؛ لهذا قال هذا المعنى، **قال إن الكلم الطيّب هو (لا إله إلا الله)، الذي اختار أن الكلم الطيب هو (لا إله إلا الله) قال أن (لا إله إلا الله) هي سبب رفع العمل الصالح**، فأنت لن يكون لك فرع عالٍ في السماء إلا عندما يكون لك أصل ثابت، فكلمة (لا إله إلا الله) هي التي ترفع لك أعمالك؛ لذلك هذا هو الفرق بين المؤمن والمنافق، **ما الفرق بين المؤمن و المنافق؟**

كلمة (لا إله إلا الله) في القلب، وإلا كلاهما يقول بلسانه: (لا إله إلا الله) وهم يجتمعون مع المسلمين ويعاشرونهم المعاشرة التامة، وقد يكذبون على أنفسهم لدرجة أنهم يصدقون أنهم من أهل الإسلام.

الآن أنا عندي في الشجرة ثلاثة أمور:-

1) **أصلها ثابت:** كلمة (لا إله إلا الله) في القلب، وسنرى كيف تثبت.

(1) [سورة فاطر: 10]

2) **فرعها في السماء:** الأعمال عندما تكون مبنية على (لا إله إلا الله) فتكون (لا إله إلا الله) سبب لرفعها إلى الله،

فإذا قبلها الله أتتك الثمرات.

3) **تؤتي أكلها كل حين:** الثمرات.

فكر الآن! لو رُفعت أعمالك إلى الله، ولا يُرفع إليه إلا ما يقبله-سبحانه وتعالى-انظر إلى آثار قبول الله لها، آثار القبول هي الثمرات التي تذوقها، **ما هي هذه الثمرات؟**

- **من الثمرات:**

* الثواب في الدنيا والآخرة، والثبات.
* حلاوة الإيمان، فحلاوة الإيمان تشبه حلاوة الثمرة.
* أتتك الأعمال الصالحة بعد ذلك، فمن ثمرات قبول الله الأعمال: أن تأتي بعدها بأعمال صالحة.
* طمأنينة في القلب.
* انشراح في القلب.
* انشراح في الصدر.
* حسن ظن به-سبحانه وتعالى-.
* قبول لأقداره.
* أعمال زائدة عما كانت.

فكل هذا من آثار القبول، وكل هذا في الدنيا، وفي الآخرة هناك الأجور العظيمة، فلا زال القبول يأتي في كل حين بثمرات، فكلمة (لا إله إلا الله) ثابتة في قلبك، لابدّ أن تنتج عملًا، وإذا كان العمل مبنيًا على (لا إله إلا الله) عاملك الله باسميه (الغفور الشكور)، (الشاكر العليم):

- فيشكر لك عملك، فمن شُكْره لعملك أن يفتح لك أبواب عمل جديدة، ولو نظرتم في علم النبات ستجدون هذه الحقيقة واضحة، أن الشجرة كلَّما ازداد جذرها عمقًا في الأرض، ازدادت ارتفاعًا في السماء؛ **فعلى قدر ثبات هذه الكلمة في قلبك يكون ارتفاع أعمالك.**

لكن انظر إلى الشجرة الخبيثة: هذه الخبيثة هي **كلمة الكفر**، أو كلمة (لا إله إلا الله) التي لا تخرج من القلب، التي ليس لها أصل، إنما كلمة يقولها الإنسان **من باب العادة**، وهذه المشكلة عظيمة سنفهمها جيدًا عندما نذهب إلى آيات سورة الحديد لتتصوروا أن هناك من يقول: (لا إله إلا الله) ويختلط بأهل الإيمان لكنه لا شيء.

الشجرة الخبيثة قال أكثر المفسرين إنها الحنظل، والحنظل جذوره سطحية، وبأقل إزاحة للتربة سترين جذوره، وبسهولة يُخرج، ثم إن ساقه مطروحة على الأرض ولا ترتفع لأعلى، ثم إن ثمرته-من عجيب الأمر-كلَّما سُقيت ازدادت مرارة، فهذا مثل الكلمة الخبيثة، فالكلمة الخبيثة ليس لها أصول في القلب، ثم إنها لا ترتفع إلى السماء، ثم إن ثمرتها لا حلاوة فيها.

هل من الممكن أن يكون هناك شخص قال (لا إله إلا الله) وهذا حاله؟

نرى في سورة الحديد ما يبين الوصف جليًّا:

قال الله تعالى: {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (13) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (14)}[1]

نحن نتكلم عن قلب الحاج، قلب الحاج لن يصلح إلا بكلمة (لا إله إلا الله) فمهما أكثرت من أعمال وليس لك قلب ممتلئ بكلمة (لا إله إلا الله) ستكون الأعمال كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، **فعلى قدر ثبات (لا إله إلا الله) يزيد انتفاعك بالأعمال التي تعملها**، يزيد ارتفاع أعمالك إلى السماء، فكثير من الناس يقولون:

(لا إله إلا الله) لكنهم ليسوا من أهلها، وهؤلاء ضُرب لهم مثلا بالكلمة الخبيثة، فكلمة (لا إله إلا الله) ليست الكلمة الخبيثة، لكن هذا هو قلب المنافق، في أصله ليس عنده معتقدات لكنه بلسانه يقول: (لا إله إلا الله) فلا ترتفع ولا يثبت في قلبه شيء، **هل يمكن أن يقول هذه الكلمة ثم تكون هناك نتيجة؟** الجواب: نعم!

الله-عزَّ وجلَّ-يصف الذين آمنوا: {يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم} يكون المنافقون هنا معهم في بداية النور، وهذا من مخادعة الله لهم؛ لأنهم عاشوا في الدنيا يخادعون الله، فيأتي هذا اليوم يخدعهم الله، كما عاشوا طيلة حياتهم

(1) [سورة الحديد:12-14]

يخادعون الله ولا يخدعون إلا أنفسهم، أرأيت كيف يكذب أحدهم كذبة ويصدقها، يصدقها هو بنفسه، فهذا يكذب بأنه من أهل الإيمان ومن أهل التقوى وأنه ما عمل هذا العمل إلا من أجل أن يرضى الله، وهو في الحقيقة يكذب كما وصف الله-عزَّ وجلَّ-في سورة التوبة: {وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ}[1] أي أنه أتى يلمّع نفسه، ويظهر نفسه أنه من أهل الإيمان، وقال للنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي وَلاَ تَفْتِنِّي بِبَنَاتِ الأَصْفَرِ" فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ{وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا}[2] الفتنة بالنساء أمر يمنع الرجل من الخروج، هذا عذر صحيح، أي أن هذا يُعتبر عذرًا شرعيًا، لكنه ليس عذرًا لترك الجهاد، لكن المسألة صحيحة، تقول فيها إن هذا عنده تقوى، وما قال هذا الكلام إلا لأنه متقٍ، وهو كذّاب، أظهر هذا السبب الشرعي ليخفي وراءه إرادة باطلة.

وهكذا حال المنافقين أو حال من يقترب من النفاق، يأتي إلى صور شرعية، وأمور شرعية، ومقاصد شرعية، يخفي وراءها إراداته هو، فيظهر للناس، أو يظهر حتى لأقرب الناس إليه، وأحيانًا يصل إلى أن يخدع حتى نفسه أنه لا يريد هذا الأمر إلا من أجل رضى الله، وهو في الحقيقة يريد وراءه منفعة نفسه، فهؤلاء عاشوا حياتهم يخادعون الله فخدعهم الله، **أين كانت الخديعة؟**

أنهم لما مشى المؤمنون في نورهم الذي أعطاهم الله-عزَّ جلَّ-إياه نتيجة إيمانهم-والذي سيتبين لنا أكثر عندما ندرس آية النور-مشى المنافقون معهم، فهم ليس لهم نور ولكنهم مشوا في نور المؤمنين، إلى أن اطمأنت قلوبهم أنهم خدعوا الله، ثم ضُرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قِبله العذاب، فأول الأمر لما انطفأ نورهم قالوا للمؤمنين: {انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ} هم كانوا معا في نور، فأخذ منهم النور الذي كانوا يستضيئون به؛ لذلك المثل هناك في سورة البقرة: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ}[3] أي أنه ليس من داخله النور بل من الخارج،{اسْتَوْقَدَ نَارًا}[4] من الخارج، فهكذا يوم القيامة، نور المنافق ليس نوره، إنما يستضيء به من الالتصاق بالمؤمنين، ثم حُرم هذا النور، وصار النور خاصًا للمؤمنين{فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ} الآن أين الشاهد؟ {يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ} هنا الشاهد، أن هؤلاء الذين لم تستقر في قلوبهم كلمة (لا إله إلا الله) يقولون:

---

(1) [سورة التوبة: 49]

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (375/5) وصححه الألباني.

(3) [سورة البقرة: 17]

(4) [سورة البقرة: 17]

{أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى} أي أنكم كنتم معنا، أي: كنتم تصلون صلاتنا، وتدخلون مداخلنا، وتخرجون مخارجنا، وتغزون مع النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-.

فعندما تسمع كلمة النفاق لا تعتقد أنها شيء وانتهى، إنما هي حال لازال الناس يمكن أن يدخلوا فيها، ثم أتت الأوصاف التي عندما يوصف الإنسان بها في الدنيا، فمعنى ذلك أن كلمة (لا إله إلا الله) ليست موجودة في نفسه: {قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ}.

1. {فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ}: أي عرضتم أنفسكم للفتن.
2. {وَتَرَبَّصْتُمْ}
3. {وَارْتَبْتُمْ}: وقع في قلوبكم شك في وعد الله؛ لذلك اخترنا بالأمس اسم المؤمن.
4. {وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ}: أي أنكم تمنيتم على الله أن تكونوا من أهل الجنة، تمنيتم على الله أن تكونوا مقبولين عند الله، لكن لا يوجد جهاد في الداخل.
5. {وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ}: أي استجبتم للشيطان.

فمعنى ذلك أن الذي يفرق بين هؤلاء في الدنيا كما افترقوا في الآخرة هو ثبات كلمة (لا إله إلا الله) في القلب، فلا تغتر بأنك قلت (لا إله إلا الله) إنما لابد أن تبحث عن ثباتها في قلبك، وفي اللقاء الماضي اتفقنا أن أول طريق لثبات هذه الكلمة، الذي هو أول طريق للتوحيد، الذي هو أول طريق لصلاح القلب هو أن تعلم عن الله، فماذا ستقول لله وهو الذي أعطاك من الأمن، والأمان، ورغد العيش، وأعطاك هذا الكتاب العظيم، ماذا ستقول له لما تخرج من الدنيا ولم تعلم عن صفاته؟ لم تعلم من تعبد؟ ماذا ستقول؟ لذلك نحن عندما نحب أحدًا ونرتبط به نكون شديدي الحرص على معرفة تفاصيل حياته، تفاصيل أوضاعه، وهذا دليل على ارتباطنا الشديد به، فكيف ربك يُعرِّف لك نفسه وأنت تترك هذا التعريف، ولا تسأل ما معنى كذا وكذا من أسمائه وصفاته، برغم أنك تقرأ سورة الإخلاص مرات ومرات، برغم أنك تقرأ سورة الكرسي مرات ومرات، لكن ما يمرّ على خواطرنا في الغالب أن نسأل ما معنى هذه الأسماء، وأنا أعلم يقينًا أن مسألة النفاق تخيف القلب، لكن اعلم أن خوفك من النفاق دليل إيمانك، قال ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: "أَدْرَكْتُ ثَلاَثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ-صلى الله عليه وسلم-كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ"[1].

وأنتم تعلمون حديث عمر بن الخطاب مع حذيفة أمين سر النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-لما مرت جنازة، فخشي عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-أن يكون ممن عده النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-في المنافقين، وهذا وهو عمر

(1) ذكره البخاري في ترجمة الباب في باب خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لاَ يَشْعُرُ.

المبشر بالجنة الذي له المقامات العليَّة، لكن هذا قلب المؤمن، لا يأمن أن يؤخذ إيمانه في لحظة؛ لذلك اعلم أن الله يحول بين المرء وقلبه؛ أي أن سَلب الإيمان يقع لأنه ليس ثابتًا؛ لأن من كان إيمانه ثابتًا ثبَّته الله.

وأنت تعلم أن الزرع تأتي عليه من الأمراض، وتأتي عليه من الحشائش الضارة ما تأتي، وكذلك كلمة (لا إله إلا الله) في قلبك، يأتي عليها من أمراض القلوب، ومن الالتهاء بالدنيا، ومن الانشغال بها ما يأتي، فماذا يحصل في القلب؟ ينصرف بعد ثبات، ينصرف من (لا إله إلا الله) إلى ضدها، فبدلًا من أن يكون الشجرة الثابتة التي لها جذور في الأرض، يصبح الثانية التي اجتثت من فوق الأرض؛ لذلك قال الله-عزَّ وجلَّ-: {يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ}

ولذلك كان أكثر قسم النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-: "لا ومقلب القلوب"، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كَثِيرًا مِمَّا كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَحْلِفُ ((لاَ وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ))[1] أي أنه دائمًا يطلب من الله أن ((يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ))[2] **فكونك تركن إلى إيمانك وإلى توحيدك ولا تعتني به كما يعتني صاحب الزرع بزرعه هذا من غرر الشيطان**؛ ولذلك قال تعالى: {وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ}.

- **ما معنى**: {وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ}؟

أوهمكم أن كلمة (لا إله إلا الله) بدون مجاهدة قلبية لابدّ أن تأتي بنتيجة، أنت قد ترد وتقول: النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-قال: ((مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ))[3] أقول: أن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-الذي قال: ((مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ)) قال: ((مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ))[4]، ((مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ))[5] فكلمة (لا إله إلا الله) في موطن أتت مجملة، قل: (لا إله إلا الله)، لكن وأنت ما حالك؟

- ✓ مستيقنًا بها.
- ✓ عالمًا بمعناها.

لذلك كفار قريش لو كانت كل القصة أن يقولوا: (لا إله إلا الله) لانتهى الموضوع، لكنهم يعلمون ماذا وراء هذه الكلمة.

---

(1) "صحيح البخاري" (كتاب القدر/ باب يحول بين المرء وقلبه/ 6617).

(2) رواه الترمذي وابن ماجه في سننهما، وصححه الألباني.

(3) "سنن الترمذي" (كتاب الإيمان/ باب مَا جَاءَ فِيمَنْ يَمُوتُ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ/ 2849).

(4) صحيح ابن حبان ، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. وصححه الألباني.

(5) "صحيح مسلم" (كتاب الإيمان / باب مَنْ لَقِيَ اللهَ بِالإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحَرُمَ عَلَى النَّارِ/ 156).

إذًا نحن نتكلم عن قلب الحاج، وقلنا إن الله-عزَّ وجلَّ-في سورة الحج كلَّمنا عن تعظيم الشعائر، وكلَّمنا عن تعظيم الحرمات، وبيّن أن هذا التعظيم لا يأتي إلا من حنفاء غير مشركين به، ثم مثَّل لنا صورة هذا المشرك، بالساقط من السماء لابد أن يهلك، ثم انظر إلى تشبيه التوحيد بالسماء، الشيء العالي المحفوظ، فكذلك صاحب التوحيد يحفظه الله بما معه من توحيد، هذا التوحيد الذي في القلب هو نفسه الذي تنطق به بلسانك وتقول عنه: (لا إله إلا الله)، أي أن كلمة التوحيد هي اسم للفظة الشهادة (لا إله إلا الله).

هذه لفظة الشهادة والتوحيد إذا استقرت في القلب، كانت سببًا في ثبات صاحبها، وكانت سببًا في تفريق الناس بين مؤمن ومنافق، فكل الناس يقولون: (لا إله إلا الله) **لكن ما الفرق بين المؤمن والمنافق؟** ما قام في قلوبهم من اعتقادات.

ومررنا في السياق على ثلاثة أمثال في سورة إبراهيم، ومررنا على سورة الحديد، ورأينا كيف تكون صورة الشخص الذي اغتر في الدنيا بالأماني، وتصور أن مجرد قوله: (لا إله إلا الله) بدون جهاد، وبدون مراعاة لحق الله، وبدون العلم عن الله تنفعه، لو كان هذا الأمر حقيقة لنفعت المنافقين الذين أتوا إلى الرسول-صلى الله عليه وسلم-وقالوا له في سورة المنافقين: {نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}[1] أين الكذب؟ مع أنهم قالوا: نشهد إنك لرسول الله؟ الكذب في قلوبهم، فقد يقول الإنسان الحقائق تامة لكنه في الحقيقة يكون الكذب في قلبه.

والنفاق له علامات صغيرة، إذا كبرت هذه العلامات وصارت الحياة حول هذه العلامات انتقل من النفاق الأصغر إلى النفاق الأكبر كما ورد في الحديث: ((آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ))[2] هذه صغيرة، فلو اجتمعت هذه الثلاثة وكانت صفته كان منافقًا خالصًا، وهذه الثلاثة تكبر وتكبر حتى تصبح الحياة تحت ظلها، فكلَّما حدَّث كَذَب، (كَذَب) لا تعني أنه كَذَب فقط في الأخبار، فيقول: أنا قلت أخبارًا صحيحة إذًا أنا لست كاذبًا، (الكذِب) المقصود به: المخالفة بين قول اللسان وقول القلب. هذا هو الكذب، أن تقول كلامًا بلسانك يخالف ما قرّ في وجدانك، وهذا هو الكذب الخطير الذي هو حقيقة النفاق، مع الكذب الأول-أن تكذب في نقل الأخبار-.

---

(1) [سورة المنافقون: 1]

(2) "صحيح مسلم" (كتاب الإيمان/ باب بَيَانِ خِصَالِ الْمُنَافِقِ/ 220).

فنحن مشهور عندنا أن الكذب صورته أن يقول الشخص كلامًا عكس الحقيقة الواقعية، لكن هناك أشياء كثيرة في قلبك الآن، فأنت تقول: يا رب لو أعطيتني مالًا سأنفق منه في سبيلك، ثم يعطيك الله مالًا، وتنسى الوعد، قال الله في كتابه: {فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ}[1] أي نتيجة أنهم ظهر كذبهم لما اختبرهم الله.

على كل حال هذه مسألة طويلة-وهي مسألة الصدق والكذب-أسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يحررها في قلوبنا وقلوبكم.

إذًا وصلنا إلى أن هذه الكلمة الطيبة حتى تكون طيبة وثابتة في قلبك لابدّ أن تأتي لها بأعمال وشروط من أجل أن تتحقق في قلبك، وتصبح ثابتة، اتفقنا بالأمس أن أول خطوة تقوم بها من أجل ثبات هذه الكلمة في قلبك:-

1) العلم عن الله:

وقد علمك الله عن نفسه-سبحانه وتعالى-الكثير الكثير، وانظر إلى كتابه، وانظر إلى أعظم آية في كتاب الله، وانظر إلى السورة التي تعدل ثلث القرآن، انظر إلى هذا كله وسترى كيف أن الله-عزَّ وجلَّ-علمك عن نفسه.

لذلك كل هذا الذي نتداوله الآن إنما علمنا الله إياه، أي أنه ليس لأحد فضل على أحد، إنما هذا كله لو نظرت إلى كتاب الله ستجده موجودًا، كل القصة أننا ما أعطينا لأنفسنا الفرصة لأن نعتكف على كتاب الله.

وضربنا بالأمس مثالًا وقلنا إننا في بيوتنا وأحوالنا نعتني بالتوافه من الأمور، ونحمل أولادنا ونضربهم على جدول الضرب، إلى آخره، ثم أنت تعلم أن هذا جدول الضرب لن ينفعه حال قبضه، ولا في قبره، ولا حين تقوم الساعة، وهذا لا يعني أبدًا ترك الدنيا، لكن ضعها موضعها، **لا تعظمها فتفقد في قلبك تعظيم الله**، لا تعظمها فتفقد في قلبك تعظيم الآخرة.

لذلك لا تنس أواخر سورة الفجر، ذاك الذي قال: {يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}[2] لكن في وقت لا ينفع فيه الكلام، ماذا يعني{يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} أي: يا ليتني جعلت الآخرة نصب عيني، وعملت من أجلها، في المقابل الآخَر سمّاه الله تعالى: {النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ} لأنها اطمأنت إلى وعد الله.

---

(1) [سورة التوبة: 77]

(2) [سورة الفجر: 24]

وقلنا إننا سنختار اسمًا يقل فهمه من جهة، ويحتاج أيضًا لفهمه لأننا في حياتنا كلها نحتاج إليه، وهو اسم **(المؤمن)**، سنرجع من جديد الآن نراجع ما مضى من فهم اسم المؤمن ونزيد عليه الجديد، **لكن لماذا نحن انتقلنا إلى اسم (المؤمن)؟** من أجل أن تثبت (لا إله إلا الله) في قلبك لا بدّ أن تأتي بشروطها، وأول شرط: العلم عن الله، فالكلام عن اسم (المؤمن) يعتبر مثالًا عن العلم عن الله، ولو أردنا أن نختصر لقلنا العلم عن الله، والعلم بأسمائه وصفاته.

اسم الله **(المؤمن)** كاسم لله-عزَّ وجلَّ-نشرحه بالتفصيل على اعتبار أنه مثال عن العلم بالله، والعلم بالله هو أول سبب من أسباب الثبات.

* **أسباب ثبات كلمة (لا إله إلا الله):**

كلمة (لا إله إلا الله) حتى تصبح ثابتة في قلبك أول خطوة تفعلها-وهي من أيسر الخطوات-: **أن تتعلم عن الله**، لا ثقافة، ولا قراءة جرائد، فنحن في قراءة الجرائد نقرأ سطرًا ونترك بعده أربعة أسطر ونقرأ ما بعده ثم لا نجد نتيجة، ليست هذه القراءة المطلوبة، إنما القراءة بقلب وتدبر، تفهم جيدًا وتعيش معاني هذا الاسم.

إذًا أول خطوة مطلوبة منك من أجل أن تثبت (لا إله إلا الله) في قلبك هي **أن تتعلم عن الله**، وهو الذي علمك عن نفسه-سبحانه وتعالى-و هو الذي أمرك بعد الصلاة كما أمر النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-أن تقرأ آية الكرسي، أن تقرأ سورة الإخلاص، وقبل أن تنام، وفي أذكار الصباح و المساء، فلا بد أن يلفت نظرك هذا الأمر، لماذا تردد: {الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ}[1] لماذا تردد كل هذا؟ فقط لتعرف أن من أسمائه الحي القيوم؟ أم من أجل أن تدرك معاني وراءها تثبت في قلبك؟ لا بد، أنت تعلم آيات التدبر الكثيرة.

إذًا اسم **(المؤمن)** مثال على العلم عن الله، واخترنا اسم المؤمن لأن له ارتباط شديد بحياتنا، ومع ذلك معناه غائب عن عقولنا، اتفقنا أن كلمة **(مؤمن)** يدور معناها حول أصْليّ:

(1) الصدق.

(2) التأمين، أي من الأمن.

(1) [سورة البقرة: 255]

لما ذكرنا (الصدق) ذكرنا الدليل: {وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ}[1]، هذا دليل على أن (المؤمن) بمعنى الصدق، و(التأمين) ذكرنا الدليل على أنه مُؤمِّن وهو: {وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ}[2].

- **المعنى الأول: [الصدق]**

أولًا: الصدق صفة ذات لله-عزَّ وجلَّ-، فهو صادق-سبحانه وتعالى-: {قُلْ صَدَقَ اللهُ}[3]،{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً}[4]،{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا}[5] إذًا هذه صفة الصدق لقوله-سبحانه وتعالى-

ثانيًا: الصدق أيضًا صفة فعل، فالله-عزَّ وجلَّ-يصدق:

أ-يصدق نفسه.

ب-يصدق رسله.

ج-يصدق ما وعد به عباده المؤمنين.

إذًا هي صدق ذات، أي أن الله يوصف بالصدق {قُلْ صَدَقَ اللهُ}، وصفة فعل أي أن هذا فعل من أفعاله، أنه يصدِّق نفسه، ويصدِّق رسله، ويصدِّق عباده المؤمنين.

- **مصدق لنفسه:**

من صور تصديقه لنفسه-سبحانه وتعالى-آية آل عمران: {شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ}[6]،كما قال مجاهد وهو يشرح اسم المؤمن: المؤمن ظهر في قوله: {شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ}، **ماذا يعني{**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ**}؟** أي: أشهدك، فهذه صفة فعل، أشهدك أنت بما أجراه عليك من الأقدار من أجل أن تؤمن يقينًا أنه لا أحد يستحق التعلق ولا التعظيم إلا الله، لا تركن لأحد غيره، ولا تطمئن لفعل غيره، ولا تشعر مع غيره بالأمان والطمأنينة، إنما هو الصمد الذي تصمد إليه كل الخلائق، وتحتاجه كل الخلائق، الصفة المشتركة لكل الخلق التي لابد أن تكون أمام عينيك ظاهرة أن كلهم يشتركون في الفقر، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}[7] أي أن الله هو وحده الغني، فلا يغرك مدير في إدارة على أنه يملك توقيعًا يجري ورقك، ولا

(1) [سورة يوسف: 77]
(2) [سورة قريش: 4]
(3) [سورة آل عمران: 95]
(4) [سورة النساء: 112]
(5) [سورة النساء: 87]
(6) [سورة آل عمران: 18]
(7) [سورة فاطر: 15]

طبيب في مستشفى على أنه يمكن أن يحرر لك مرضك، ولا غنيّ على أنه يمكن أن يدفع عنك احتياجاتك، ادفع عنك هذا كله، ثم اعلم أن الله لو شاء شيئًا سخر لك هؤلاء، ولو ما شاء انصرف عنك هؤلاء كلهم؛ لذلك قال تعالى: {وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[1] أرأيتم الحساب؟ نحن ما يتعبنا إلا الحساب! يتعبنا الحساب، أيام الشهر، متى الراتب؟ يتعبنا الحساب أنني أحسب مَن فلان الذي يمكن أن يموت وأرثه في عائلتي؟ فلا أجد أحدًا، سأبقى فقير طيلة عمري! يتعبنا الحساب بأن ابنتي مَن رآها ليتزوجها؟ لا أحد يعرفها ولا أحد يدري عنها، هذه هي الحسابات! أنت الآن ستقول: من الطبيعي، نقول: هذه الحسابات من الابتلاءات؛ لذلك انسَ أيام الشهر، وانتظر الرزق من الرزاق، انظر إلى هذا الفرق بين تربيتنا نحن لأولادنا وتربية الذين مضوا، الذين مضوا ما كانوا ينتظرون نهاية الشهر، بل كانوا ينتظرون الرزق من الرزاق.

لذلك أكثر الناس إيمانًا أهل البحر، لماذا؟ لأنهم يخرجون لا يعرفون ماذا سيأتون به، لكن يأتيهم الرزق من الرزاق؛ لذلك من الزمن الماضي كانوا يسمون ما نسميه اليوم بـ (المواد الغذائية)، كانوا يسمونها عندنا في البلد (الأرزاق) لا يسمونها (مواد غذائية)، لماذا؟ يقينًا أن هذا كله ما أتى إلا من عند الرزاق، فهذا كله إشارة إلى أن **الحسابات تفسد القلوب**.

لذلك لما يتربى أولادك على أن هذا البنك تسحب منه الأموال، لو قلت له: ليس لدي مال، يقول لك: اذهب إلى البنك، على أن البنك هو الذي سيأتي بالمال، فهذه هي التربية الضعيفة البعيدة عن الله-عزَّ وجلَّ-، هذا كله يشهدك الله عليه، يشهدك أنه لا بنك ينفعك، ولا طبيب ينفعك، ولا قرابة تنفعك، ولا فلان ينفعك.

فهذا من حبه تعالى لعباده، **ما أن تزيغ قلوبهم عن بابه إلا ويردهم بالتربية**، يعاملهم باسمه الربّ، فيربيهم، ويشهدهم أنه (لا إله إلا هو)؛ لذلك من كانت له بصيرة في قلبه بالعلم عن الله يستطيع ترجمة دقائق الأحوال التي تمرّ عليه، يرى تربية الله في كل شيء، يرى كيف أن الله يربيه، فحين يثق في سيارته فإنها تتعطل! وحين يثق في زميله لا يأتيه! وحين أثق بابنتي وتكون هي التي أحبها تكون أكثر واحدة ممنوعة عني! وزوجها لا يقبل أن يحضرها إلي...وإلى آخره، إذًا كلَّما مال قلبك ثقة لغيره ربّاك لترتد إلى بابه، تعتقد أنه (صمد) وأن كل العباد فقراء إليه.

- **مصدق لرسله:**

(1) [سورة النور: 38]

وقلنا مثال آية سورة فصلت كيف أن الله–عزَّ وجلَّ–جعل في الآفاق وفي الأنفس دليل على صدق القرآن تصديقًا لرسوله–صلى الله عليه وسلم–: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} ثم ختم الله–عزَّ وجلَّ–الآية بقوله: {أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[1] أي: أن من دلالات نبوة النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–أن الله–عزَّ وجلَّ–نصره، وأعطاه، ورفع مكانته، فهذا كله شهادة من الله لرسوله.

- **مصدق لعباده المؤمنين ما وعدهم به:**

لكي تنتفع وتؤمن بهذا المفهوم تحتاج إلى ثلاث خطوات:

1) **أن تتعلم وعود الله في كتابه وعلى لسان رسوله–صلى الله عليه وسلم–.**

فحين تمر عليك في كتاب الله وعود لا تهملها، سجل لنفسك وعود الله، فلو كنت خائفًا مثلا، الله–عزَّ وجلَّ–يقول: {وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}[2] فتفهم أن الله وعد ألا يضرّك أحد بشيء، سيحفظك، لكن متى؟ هذا هو السؤال.

2) **افهم معنى الوعد وأوصاف الموعود.**

أوصاف الموعود هذه هي الكلمة المهمة، افهم أوصاف الموعود، بالأمس ضربنا مثالا: {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}[3] عندنا مشكلة أصلًا في فهم (شكرتم)، فمتى تكون شاكرًا حقيقة لله؟

أن تكفر بالأسباب وتنسب الفضل كله لله، وذكرنا آية سورة الزمر؛ من أجل أن تتعبد باسم (المؤمن) هنا في هذا الموطن:

- عليك بمعرفة وعود الله.
- وعليك بفهم الوعد.

فـ (شكرتم) هذه لا تأتي بلسانك فقط، الشكر يحتاج أولًا أن يكون في وجدانك بعمق، ثم يأتي لسانك ويأتي بدنك، أي أن كل وعد لا تمرّ عليه سريعًا، أو كما تفهمه من الموروثات.

---

(1) [سورة فصلت: 53]

(2) [سورة آل عمران: 120]

(3) [سورة إبراهيم: 7]

فنقول مثلًا: {إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}[1] وترى نفسك صابرًا، لكنك ما قست نفسك على الشريعة، هل هذا حال الصبر حقيقة أم لا؟

3) افهم وعد الله.

أي افهم فعل الله في هذا الوعد كيف يعطيك هذا الوعد، ماذا يعني ذلك؟ مثلًا: {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ} ما معنى (أزيدنّكم)؟ يزيد ماذا؟ فتفهم يزيد ماذا؟ فأحيانًا يتصور الإنسان أنه يزيد نفس الشيء المادي، تدفع ريالًا فيأتيك ريال، لا، بل{لأَزِيدَنَّكُمْ}هذه بابها واسع:

- ✓ أزيدنكم بركة.
- ✓ أزيدنكم إيمانًا.

وأيضا: {إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}[2] ما معنى (مع الصابرين)؟ ماذا تعني المعية؟ تحتاج أن تفهمها بالتفصيل، ما معنى أن الله معك؟ ماذا سيفعل لك؟ المقصد: أنك عندما تأتيك الوعود، عليك أن تفهم ماذا يجب عليك؛ مِن أجل أن يعطيك الله الوعد.

ففي قوله تعالى: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا}[3] ما معنى أن أتقي؟ هذه هي الحياة كلها، في قلبي أولًا بحسن ظني به-سبحانه وتعالى-، أي: أتقي أن أسيء الظن به هذا أولًا، ثم بعد ذلك يأتي كلام كثير، ثم: (يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا) ماذا يعني؟ هل يعني أنه ينام ويصبح فيجد له مخرجًا؟ أم أنه قد تطول به، أو قد يعتصر، المهم أن نفهم المسألة بالتفصيل.

ليس مقصدنا هنا تفصيل الوعود، لكن مقصدنا أنك حتى تؤمن باسم (المؤمن) انظر إلى وعوده في كتابه-سبحانه وتعالى-انظر إلى وعوده في سنة النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-، اجمعها قدر ما تستطيع خصوصًا ما يناسب حالك منها، ثم افهم الشروط لتُعطى الوعد، ثم افهم وعد الله أصلًا ما هو.

---

(1) [سورة آل عمران: 153]
(2) [سورة البقرة: 153]
(3) [سورة الطلاق: 2]

الآن الأمة تطلب النصر مثلًا، وهذا الطلب جميل، لكن هذا الطلب مشروط، قال تعالى: {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}[1] أين هذا الذي نَصر الله؟ أين هو؟ فردًا فردًا، أين نصر التوحيد؟ أين اجتماع الأمة على التوحيد؟ أين بذل الجهد من أجله؟ أين تعليم أولادنا التوحيد؟ أين ذلك؟

{إِن تَنصُرُوا اللَّهَ} الله-عزَّ وجلَّ-ليس محتاجًا أن تنصره-سبحانه وتعالى-أنت بحاجة إلى أن تنصر الله في نفسك بتوحيده، بأن تنصره على الشهوات، بأن تنصره على التعلقات بغيره، وهذا سيكون لك قبل أن تتكلم عن أي أحد في الأعلى، أي: لا تتكلم عن الدول، تكلم عن نفسك، فواحد قد يكون مباركًا فينفع الناس، وآخر قد يكون مشؤومًا فتنزل المصائب بسببه كما في قصة موسى عندما مُنع القطر بسبب عاصٍ، فأنت لا تستهن بنفسك، لا تقل: أنا لا علاقة لي، فهل لو أذنبت ستتأثر الأمة بي؟! لابد أن تفهم قيمتك، نحن مثل الجسد الواحد بالضبط، لو اشتكى فيه عضو، لو كان إصبعًا، لو كان ظفرًا، ماذا سيحصل؟ انظر عندما يقع لظفرك جرح بسيط، انظر كيف تشعر، انظر إلى بدنك كيف يتأثر، أنت اعتبر نفسك كذلك بالنسبة للأمة، الأمة ستتألم بسببك لكننا لا نشعر أننا مؤثرون، وهذا إشكال!

على كل حال، المقصد الآن: إذا أردت أن تنصر الله تعبَّد بعبادة التوحيد في قلبك وفي أبنائك، لا تلتفت فقط لهؤلاء الذين يعبدون غير الله ويتمسحون ويذبحون، انظر إلى نفسك، فهؤلاء إذا تمسحوا بالقبور نحن تمسحنا بالدنيا، وتعلقنا بها، وتربى أولادنا على الرواتب وعلى بذخ الدنيا، هذه أنواع من التعلقات، وأعظمها أن تُصرف العبادات لغير الله، هذا أعظم الشرك، لكن هناك أنواع من الشرك، قال تعالى: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ}[2] أيًّا كانت صورة الهوى، فأناس هواهم في هذه الأحجار والأشجار من دون الله، وأناس هواهم في الدنيا والتعلق بها؛ لذلك قال رسول الله: ((تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ))[3].

على كل حال، **لا تفهموا من كلامي منابذة الدنيا، بل افهموا من كلامي عدم تعلق القلب** بها فهي عليك بلاء وبلاء شديد؛ لأن أهل الفقر يتصبرون، وأيضًا هناك من يصبرهم، يقول لهم: اصبروا وإن شاء الله في الجنة تجدون، لكن أهل الدنيا لا أحد يصبرهم، بل يُنظر إليهم نظر الإعجاب فيزدادوا تعلقًا بالدنيا؛ لذلك انظر إلى حال الإنسان حتى وهو معه علم، كيف يكون حاله حين تدخل الدنيا إلى قلبه؟ الله-عزَّ وجلَّ-وصف في سورة

(1) [سورة محمد: 7]

(2) [سورة الفرقان: 43]

(3) "صحيح البخاري" (كتاب الجهاد والسير/ باب الْحِرَاسَةِ فِي الْغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللهِ).

الأعراف هذا الأمر وصفًا واضحًا، قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث}[1] فما السبب؟ العلم يرفع الناس، لكن الله-عزَّ وجلَّ-لم يرفعه ولم ينفعه بالعلم، لماذا؟ لأنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه، **فـداء العلم، داء الاستقامة، داء الدين، داء الآخرة هو: الهوى والخلود إلى الدنيا والتعلق بها.**

إذًا الآن اتفقنا على أن اسم (المؤمن) بمعنى أنه مصدّق، وهناك صفة ذات، وصفة فعل، أي أنه-سبحانه وتعالى-بنفسه صادق-سبحانه وتعالى-وأنه بفعله مصدق لنفسه، ولرسله، ولعباده المؤمنين ما وعدهم به.

- **المعنى الثاني: [التأمين]**

وأيضًا اسم (المؤمن) بمعنى: مُؤمِّن، وهذا أيضًا معنى واسع نختصره في **ثلاثة** نقاط:

أولا: أنه-سبحانه وتعالى-مؤمِّن المقبلين عليه من فزع الدنيا.

من فزع الدنيا، من مخاوفها، فكلَّما وجدت في قلبك اضطرابًا، أو خوفًا في الدنيا لا بد أن يؤمنك الله لو أقبلت عليه؛ لذلك الآن انظر إلى الأمراض النفسية: القلق، الوسواس. ما سببها في الأصل؟ الخوف، فأنت قلق على أبناءك، من ماذا؟ من أن ينحرفوا، من أن يبتعدوا عن دين الله، إلى آخره، أو قلق على أموالك، قلق على بلدك، على بيتك، إلى آخره، كل هذه المخاوف التي تخافها ألقها كلها عند باب الله، واعلم أنه هو الحفيظ-سبحانه وتعالى-.

لذلك لما خوفوا النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ}[2] ثم قال الله-عزَّ وجلَّ-: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ}[3] يخوف من؟

لها معنيان:

أ-أي يخوف من كان وليًا للشيطان.

(1) [سورة الأعراف: 175-176]
(2) [سورة آل عمران: 173-174]
(3) [سورة آل عمران: 175]

ب-أي يخوفكم أنتم بأولياء الشيطان.

فاحذر أن تكون وليًا للشيطان يخوفك، واحذر أن يخوفك الشيطان بأوليائه، أن تخاف من غير الله، واعلم أن المحفوظ مَن حفظه الله، فمثلًا حين تخاف على أمنك استعمل: ((احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ))[1] استعملها وأنت تعلم أن أرضًا مثل (تسونامي) أغرقها الله ثم حفظ من كل الأرض المسجد! كيف؟! هذا مبنى من بين المباني، وعلى هذا الشاطئ كانت هناك فنادق كبيرة وعالية أعلى بكثير ولا تقارن بعلو المسجد، ومع ذلك أتى الله-عزَّ وجلَّ-بنيانها من القواعد، كيف يأتي بنيانها كلها من القواعد وهذا يبقى؟ لأن المحفوظ من حفظه الله.

فإن كنت خائفًا على أمنك، وعلى أولادك، وعلى بيتك، وعلى زوجك، وعلى كل ما تخاف، اعلم أن الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-قال: (احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ) فهذا هو الطريق؛ لذلك من معاني اسم المؤمن أنه يؤمّن العباد، يؤمّنهم من كل ما يخافون لو أقبلوا عليه، هذا هو الشرط، لو اكتفوا به حسيبًا ووكيلًا، لكن **إذا كنت لا تكتفي به، ولا تثق به ابق مكانك، سيصيبك بالآلام والأمراض أكثر من ذلك.**

- **ما معنى (احفظ الله)؟**

أي: احفظ أوامره ونواهيه، كن مستقيمًا على دينه، كن من أهل التقوى، هذا سيكون أثره أن يحفظك الله، مثل قوله تعالى: {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ}[2].

المقصد الآن: أرأيت الجماعة الذين خوفوهم بالجماعة من الناس ماذا قالوا؟ {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} أي: هو وحده كافينا؛ فمن أجل أن تؤمَّن مما تخافه لا يلتفت قلبك لغيره مؤمنًا، فالله في الحديث القدسي يقول: ((أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ))[3] أي: تطلب من الله الأمن وتطلب من غيره، لا أكلمك عن لسانك ولا عن بدنك أنا أكلمك عن قلبك، قلبك يجب ألا يثق إلا بالله، عندما يقال لك: هناك أمير، هناك وزير، هناك كذا، لا تخف ستركب معه وتصل، كل هذا ارمه وراء ظهرك، واعلم أنه لا يؤمنك إلا الله.

لذلك عندما يلتفت قلبك إلى غيره مؤمنًا يزداد خوفك، ويصبح الذي تعتقد أنه يؤمنك يكون أول مخاوفك، ويكون سببًا لخذلانك، فإذا أردت أن يُطرد عنك القلق والوسواس، اعلم أنه-سبحانه وتعالى-لا يخذل من أقبل

(1) رواه أحمد في مسنده، والترمذي في سننه، وصححه الألباني.

(2) [سورة محمد: 7]

(3) "صحيح مسلم" (كتاب الزهد والرقائق/ باب مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللهِ/ 7666).

عليه، لا يمكن، نحن نثق في الله ثقة تزيد على ثقتنا في كل شيء، بل نحن لا نثق في أحد إلا في الله كما ذكرنا في أحد أدعية أذكار الصباح و المساء في رواية أحمد: ((وإني لا أثِق إلاَّ بِرَحْمَتِك))[1]. إذًا هذا المعنى الأول لاسم (المؤمن) بمعنى المؤمِّن.

ثانيا: أنه-سبحانه وتعالى-مؤمن لهم من الخوف في عرصات يوم القيامة.

وكل هذا الكلام ليس لكل أحد، إنما فقط للموحد: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ}[2] ما معنى (بظلم)؟ أي: بشرك، كما ورد في صحيح البخاري:

عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتِ: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ: {لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} بِشِرْكٍ أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: {يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}[3].

المقصد أن الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم، أي لم يلبسوه بشيء من الشرك، أولئك: {لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ}

- **ماذا يعني:** {وَهُم مُّهْتَدُونَ}؟

أي مهتدون في الدنيا وفي الآخرة، حتى أن الرجل-نسأل الله من فضله-عندما يُفتح له باب الجنة يهتدي إلى مكانه في الجنة كأنه داره في الدنيا، هذا من معاني أن الموحّد يهتدي؛ يهتدي في الدنيا إلى الصراط المستقيم، ويهتدي في الآخرة إلى منزله الذي ينزله الله إيّاه، يسير إليه كأنه منزله في الدنيا، وكل الشرط أن تكون موحدًا، ليس في قلبك تعلقًا بغيره، ولا يكن في قلبك خوفًا من غيره ولا تعظيمًا لغيره.

ثالثًا: المؤمن عباده من أن يظلمهم.

فهو يعامل عباده بأحد أمرين:

1. إما بفضله.
2. أو بعدله.

---

(1) سبق تخريجه.

(2) [سورة الأنعام: 82]

(3) "صحيح البخاري" (كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً}.../ 3360).

ما معنى بفضله؟ أي أنه يعطيك أكثر مما يتصور عقلك؛ لذلك أهل الجنة في سورة فاطر يقولون: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ}[1] أي أن هذا ليس بأعمالنا لكن لأنه عاملنا باسميه: (الغفور الشكور).

إذًا العباد مؤمَّنون من أن يظلمهم الله، فإما أن يعاملهم بفضله أو بعدله، وانظر لعدله-سبحانه وتعالى-أي أن الله-عزَّ وجلَّ-لا يمكن أن يظلمك فيحمّلك أعمالًا ما عملتها، إنما كتابك مكتوب فيه الصغير والكبير، ثم عندما تُعرض الأعمال على الظالم الذي ظلم نفسه إما بالمعاصي أو بالشرك يقرّ بها كلها، بل انظر أول آية في سورة سبأ، سنرى الأمر العجيب: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}[2].

- **ما معنى: {وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ}؟**

أي أن أهل الموقف جميعًا سواء كانوا أهل الجنة أو أهل النار، كلهم بعدما تعرض عليهم أعمالهم ويحاسبون يحمدون الله، حتى أن أهل النار يدخلون النار وقلوبهم ممتلئة بحمده أنه-سبحانه وتعالى-ما ظلمهم، فيعترفون بأن كل ما أُقرّ عليهم حق، لم يُرد عليهم ظلمًا أبدًا.

لذلك في الدنيا يحمده **أهل الإيمان**، وفي الآخرة يحمده **أهل الموقف كلهم**، حتى أن **أهل النار** يدخلون النار وقلوبهم ممتلئة بحمده والثناء عليه، ليس لأنهم دخلوا النار، بل لأن الله لم يظلمهم شيئًا؛ لذلك العباد في أمْن مِن أن يظلمهم الله، ((يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ))[3]، فالذي ستراه في كتابك أبدًا لن يكون افتراءً ولا ظلمًا، إنما حقيقة هذا هو الذي وقع منك؛ لذلك من المؤكد أن ماضينا نُسي، نسينا ذنوبنا ومعاصينا، فعاملك الله برحمته وفضله فشرع لك التوبة، **فالتوبة هذه وظيفة العمر**، لا تتركها، لو قُبضت وأنت تائب أفلحت أفلحت! لماذا؟ لأن التوبة تجُبّ ما قبلها، تمحوه محوًا تامًا لو كانت صادقة كما ينبغي، فأنت تب وارجُ الله أن يجعلها صادقة، ثم **اعلم أن تكرار التوبة من دلائل صدقها من العبد**، فأنت الآن تُبْ عما تعلم، واسأله أن يغفر لك ما لا تعلم، وعمِّم على ما مضى، وكلَّما ازددت صدقًا في هذه التوبة استفدت استفادتين:

1) محيت الذنوب.

---

(1) [سورة فاطر: 35]

(2) [سورة سبأ: 1]

(3) "صحيح مسلم" (كتاب البر والصلة والآداب/ باب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ/ 6737).

2) تحولت الذنوب إلى حسنات.

لكن هذا كله:

- ✓ مع كثرة الصدق.
- ✓ مع إلحاحك على الله.
- ✓ مع انكسارك بين يديه، مع زيادة الذل.

مثلًا: شخص يحج كل سنة، والسنة الماضية تاب عن الذنوب القديمة التي ارتكبها قبل عشرين سنة، وفي هذه السنة يقول: لأوفر جهودي لدعاء آخر، نقول: لا، كلَّما وجدت موقفًا انكسر فيه قلبك استعمل التوبة؛ لذلك أعظم ما يقال في يوم عرفة: (لا إله إلا الله) لماذا تقولها؟ لأن هذا زيادة ثناء، عهد جديد تكرره، أنا يا رب أعترف بك إلها معظمًا، وفي طيات هذا الاعتراف تنكر كل أحد غير الله، فما معنى (لا إله إلا الله)؟ أي أنني أكفر بكل أحد غير الله، ولا أؤمن إلا به، وأعظم الذنوب هو أن يلتفت قلبك إلى غيره، فضمن دعاءك دائمًا طلب التوبة، ثم بعد الأعمال ألح على الله بالقبول أن يقبل أعمالك وأن يقبل توبتك. أسأل الله-سبحانه وتعالى-أن يقبل أعمالنا جميعًا.

لقاء
قلب حاج
اللقاء الثاني الفترة (٢)
ألقي يوم الثلاثاء
٧-١٢-١٤٣٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم.

مرّ معنا في لقائنا السابق أننا نتكلم عن قلب الحاج؛ لأن هذا القلب هو سبب صلاح أعمالك وهو الذي ينظر إليه الربّ فإذا **صلح قلبك صلحت أعمالك**، واتفقنا أن صلاح القلب إنما يكون **باستقرار كلمة (لا إله إلا الله)**، مثل الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وهذا ثبات كلمة التوحيد في قلب المؤمن، وفرعها في السماء بها ترفع الأعمال فكلَّما زادت كلمة (لا إله إلا الله) كلَّما رفع الله به عملك.

مَرّ معنا الطريقة الأولى لثبات كلمة (لا إله إلا الله) في القلب:

1-تعلّم عن الله، أسمائه وصفاته.

وقد أصلحك الله فعلّمك عنه في كتابه العلم الكثير، ثم أبرز لك هذا العلم وأمرك النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم- بتكراره، فها أنت تكرر آية الكرسي وسورة الإخلاص وأنت تعلم مكانتهما، فآية الكرسي أعظم آية في كتاب الله، وسورة الإخلاص ثلث القرآن، وما ذلك إلا لأنها تحمل أسماء الله.

فعلى ذلك صلاح قلبك وعملك مرهون بعلمك عن الله، على قدر علمك عن الله سيكون حسن ظنك فيه، وعلى قدر حسن ظنك سيكون هروبك ولجوءك إليه، وهذا هو التوحيد، أن يكون الله ملجأك لا ملجأ لك غيره، تطمئن لوعده ولا تطمئن لوعد غيره، تفرد الله بكل مشاعر الإحساس بالكمال وتصف كل أحد غيره بالنقص، فلا عليم على الحقيقة إلا الله، ولا قادر على الحقيقة إلا الله، ولا مانع على الحقيقة إلا الله، ولا نافع على الحقيقة إلا الله، ولا كاشف للضر على الحقيقة إلا الله، قال تعالى: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ}[1]، {فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ}[2] أي: ابتغوا عنده الرزق ولا تبتغوه عند أحد غيره، **فلا أحد غير الله:**

- ✓ لا رازق.
- ✓ ولا معطي.
- ✓ ولا مالك.
- ✓ ولا أحد غيره غني كامل الغنى، بل هو وحده الغني وكل أحد غيره وصفه فقير.
- ✓ لا أحد سِتّير ولا حليم إلا هو-سبحانه-، وغيره لو كان فيه الحلم والستر فلابدّ أن يكون ناقصًا.

فأفرد الله باعتقاد الكمال، **وإذا علمت ذلك:**

- فلن تلجأ لغيره.
- ولن تنتظر الفرج من غيره.
- ولن تتعلق بغيره ولن تعظِّم غيره.

---

(1) [سورة الأنعام: 17]

(2) [سورة العنكبوت: 17]

عندما تفهم هذا المعنى تفهم قوله تعالى: ((يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ))[1] الحديث القدسي.

عندما نعود لأنفسنا حقيقة نجد أن قلوبنا إما تعلقت **بالناس** أو **بذواتنا**، فتصوّرْنا معنى{إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ}[2].

وصف الله حال الإنسان حين يمسه الضر في سورة الزمر قال: {فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ}[3] أي أنا درست، أنا مجتهد، أنا فعلت؛ من أجل ذلك فُرِجت علي، أنا ذكي أنا أعرف أستغل المواقف، كل هذا وغيره كثير، تفسير لقوله: {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ} يرد الله عليه: {بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ} اختبرك حين أعطاك، ما إن نسبته لنفسك إلا وقد سقطت في الفتنة ولذلك ختم الله بقوله: {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}.

لما ضاق عليك الأمر ودعوته فاستجاب لك، المفترض أن تنسب النعمة له وتكفر بالأسباب، **الكفر بالأسباب** معناه أنك تنسب النعمة تمامًا لله-عزَّ وجلَّ-، هذا كله سيكون عندما تتعلم، وتحتاج بعد العلم لأمر غاية في الأهمية.

في سورة الإخلاص وصف الله نفسه **بالصمد** (السيد الذي كمل في سؤدده)، فكَمُلت رحمته وعلمه وقدرته وعزته إلى آخره. هذه المعلومة موجودة في آذاننا، نسمعها، ونعتبر أنها مستقرة في قلوبنا، لكن لابدّ أن يكون الناتج أن **تصمد إليه** في أقل حال إلى أعلاها، إذًا: هل تكفيني المعلومة أم أحتاج أن أكون متيقنًا بها؟ تحتاج أن يكون عندك يقين بما تعلمته عن الله.

لما علمت أن من أسمائه **الغني**، وهذا وصف لازم له، أنه غني عن عبادتك وغني عنك، ومن غناه أنه يعطيك مرادك أيسر ما يكون، قال تعالى: {اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ}[4].

عندما يُقال لك: **الله وحده الغني وكل أحد غيره فقير** إذا كانت هذه المعلومة عندك درجة اليقين فلن تسأل إلا الله، تفهم معنى: ((إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ)) أي تسأله ولا تسأل غيره، ((وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ))[5] ولذلك يعقوب-عليه السلام-لما أتاه الخبر عن ابنه قال: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ} لكن حتى الصبر لا أستطيعه: {وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ}[6].

---

(1) "صحيح مسلم" (كتاب البر والصلة والآدب/ باب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ/ 6737).

(2) [سورة القصص: 87]

(3) [سورة الزمر: 49]

(4) [سورة الشورى: 19]

(5) رواه أحمد في مسنده، والترمذي في سننه، وقال أَبُو عِيسَى الترمذي هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(6) [سورة يوسف: 18]

فالعبد إذا علم أن الله هو المستعان وتحولت هذه المعلومة لليقين استعان به وفهم معنى قول النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-لابن عباس: ((وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ))، وإذا فُهم أن الله غنيّ ووصلت المعلومة **لدرجة اليقين** يفهم ((إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ)).

إذًا نحن نحتاج بعد العلم أن لا تكن صفات الله **مجرد خبر**، بل تقع في قلبك **درجة اليقين**. سنتناقش **من أين لي درجة اليقين؟**

نعود للوراء ونسأل: **من أين لك العلم؟**

كتاب الله وسنة النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-بين أيدينا لكن أين نحن؟ لابدّ أن تفهم أن الله يعلّم عباده، يرزقهم أبواب العلم. تصور حديث النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-الذي وصف فيه مجلسًا له ثم مرّ على المجلس ثلاثة نفر، هؤلاء مروا على العلم من الأرزاق، الله ساقهم لطريق العلم، انقسموا لثلاثة أقسام:

1. **شخص أقبل فأقبل الله عليه:**

أقبل على الله فشرح الله صدره ويسّر له أبواب العلم وفتح له ذهنه.

2. **استحيا:**

جلس في آخر المجلس، فاستحيى الله أن يرده صفرًا، فأخذ من العلم ما أخذ، لكن ليس مثل الأول الذي فُتحت له أبواب العلم.

3. **أعرض فأعرض الله عنه:**

العباد كلهم تُعرض عليهم أبواب العلم عن الله، ومن الأبواب **الحج**، من أعظم الأبواب التي تفتح العلم للناس: الحج؛ ولذلك عندما يشرح أهل العلم قوله تعالى: {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ}[1]، الله جمعنا في الحج لنشهد المنافع وأعظم المنافع **العلم**، المفترض في الحج كما ورد في السنة أن الذي عنده علم يُعلّم مَن ليس عنده عِلم. النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-في اليوم العاشر خطب خطبة-ليست هي خطبة العيد لأنه لم يصلِّ العيد-، يوم عرفة خطبة، ويوم العاشر خطب النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-في أصحابه، ويوم الحادي عشر، كانوا ينتفعون به بالعلم؛ ولذلك **من السنة أن الذي عنده عِلم يعلّم الناس**، فهذه من أعظم منافع الحج.

المهم أن تَعْلَم أن **العِلم رزق يرزقه الله من يشاء**، لكن **(من يشاء)** معها الحكمة، مشيئته مرتبطة بحكمته، الشاهد في سورة الإنسان قال تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}[2]، فيعرض على كل الناس أبواب العلم ثم هم ينقسمون **لثلاث أصناف:**

1- **إما مُقبِل فيُقبِل الله عليه.**
2- **أو مُستحٍ فيستحي الله منه.**

---

(1) [سورة الحج: 28]
(2) [سورة الإنسان: 30]

3- **أو مُعرض فيعرض الله عنه.**

مرّر على ذاكرتك كيف عُرض عليك العلم ولو كان بأبسط الطرق، فإذا أقبلت أقبل الله عليك، وهذه أرزاق يسوقها الله لعباده، فمَن أقبل على هذا الرزق نهمًا لابد أن يشبعه الله، **لا أحد ملهوف يُقبل على ربه ثم يعرض الله عنه**، بل يفتح له أبواب العلم العظام، واسأل أهل العلم، الشيخ ابن عثيمين كان لم يتجاوز 8 أو 10 سنوات، كان يقف على جذع شجرة ويتكلم كأنه يخطب، فدارت الأيام وأصبح عالم الأمة!

من أين آتي باليقين؟

أول شرط لتثبّت كلمة (لا إله إلا الله) في القلب: (تعلّم عن الله)، كلّما تعلمت كلّما **ظهر لك أن لا أحد يستحق التعلق والتعظيم إلا الله**، من أين لك اليقين؟ مثل العلم، لكن هنا لن يأتينا اسم (الرزاق) فقط بل اسم (الرب)، **الرب هو الذي يربي عباده ليصلحهم لمجاورته في جنات النعيم.**

كيف يربي الله عباده؟

بما يجريه عليهم من أقدار تخصّهم أو تخص مَن حولهم أو تخص العالم، هذه الأقدار تحوّل المعلومات إلى حقائق ثابتة، مثلًا: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}[1] هذه معلومة، يأتيك موقف تعيشه بتفاصيله وترى كيف رزقك يأتيك من حيث لا تحتسب، فتتحول هذه من مجرد معلومة إلى يقين، أو تسمع أن الله لطيف، أنه يخرج الإنسان من عنق الزجاجة بألطف ما يكون، تسمع هذا المعنى-عِلم-ثم تعيش كيف لطف بك، كنت على الهاوية فحفظك، حتى أنك أحيانًا تقول: (أنا كنت سأقعَ من الذي أخرجني؟!) الله عاملك باسمه (اللطيف)؛ **فتتحول المعلومات لحقائق يقينية**، لكن ما يراها إلا من رزقه الله البصيرة.

فبعدد أنفاسك يربيك الله-تعالى-، وبعدد أنفاسك يظهر لك أن لا أحد يستحق التعلّق إلا الله، وأنّ كلمة (لا إله إلا الله) التي تقولها يقينًا هي الحق، وأنّ كل ما سواه باطل، لكنك ما تلتقط ما يزيدك ثباتًا إلا إذا وهبك الله بصيرة، وطريق البصيرة أن تُقبِل على الله، طريق العلم واليقين أن تُقبِل على الله، فإذا أقبلت عليه أقبل عليك الله وربّاك، عاملك باسمه (الرب) ثم بصّرك في تربيته.

مَن كان بصيرًا يستطيع تفسير تفاصيل حياته، وحين تأتي علامة استفهام ولا يعرف تفسيرها يقول: (سأصبر قليلًا وسأفهم ماذا يكون) وهذا على قدر عِلمك عن الله ويقينك، **فإذا كنت لا تعلم عن الله ستُحوّل الخير والتربية والعطاء إلى شر وإحساس أنك مظلوم وما عندك حظ!** مثلًا: طالبة في الثانوية تجد أن كل البنات ثنائي، متعلقين ببعض، وهي ليس عندها أحد، تنظر إليهم وتشعر أنها محرومة، ثم تكبر فيفرّغ الله قلبها للعلم وطاعته، فحين تكبر وتنضج ترى أن ذاك كان من حفظ الله لها، أو تبقى طيلة حياتها تشعر أنها ليس لها حظ في الصداقات!

ناس يفهمون أنه من اللطف والحفظ.

---

(1) [سورة الطلاق: 2-3]

وناس يفهمون أن ليس لهم حظ!

حسن الظن بالله يزيد العبد يقينًا أن الله وحده الذي تتعلق به وترجوه.

فلا تطمئن:

- ✓ لوعد غيره.
- ✓ ولا عطاء غيره.
- ✓ ولا رضا غيره.

ولذلك **كثير من الأحيان يبتليك الله من أجل أن يعلّمك عنه**، فأنت تلتفت يمنة ويسرة في التفكير، وهذا مثال غالبنا نعيشه: المرأة متعلقة بزوجها وشديدة التفكير فيه، في عرفة الناس يدعون وهي تدعي أن لا يتزوج عليها ثم يقدّر الله أن يلتفت قلبه عنها-ليس شرطًا بسبب امرأة أخرى-فتقول: (عين، حسد، سحر) ما عندنا إلا هذه الثلاث! الله-عزَّ وجلَّ-ما فعل هذا إلا **ليفرغ قلبك لطاعته**. وأنا لا أتكلم عن المحاب الطبيعية إنما أصبح القلب مجموع كله عليه! وتقول: (أنا أصلي وأصوم) نحن نتكلم عمّن معه قلب، فأنت في الصورة تعبد وفي الحقيقة متعلق بغير الله!

فالله يغار على محارمه ومنها قلبك، فيصرف عنك المتعلق به، وتسأل: (أنا ما فعلت شيئًا يجعل هذا الشخص ينصرف عني) فتأتيكِ النصائح (غيري شكلك ليمشي الحال وإلى آخر ما تسمعون) وتزداد انتظارًا أنه المفترض أن يُقبل عليّ، وما تفهم أن الأمر يزداد سوءً وتعقيدًا! ثم إذا فرغ قلبك من غيره أقبل عليك هذا الذي انصرف، كما يتكرر من النساء (أنا حفظت القرآن والتحقت بدروس العلم لما حصل كذا؟) فتفهم أن هذا الانشغال القويّ غير المتزن، رباك الله به.

فهذه التربية، يفهمها الموفق؛ ولذلك **كن عالمًا أو متعلمًا أو صاحبهما**، لماذا؟ من أجل أن يساعدوك في التبصُّر حين تأتيك مثل هذه الأمور، لا أن يزيدك أهل الدنيا مخاوفًا!

إلى الآن خطوتان تثبت في قلبك (لا إله إلا الله):

1) تعلم عن الله، أسماؤه وصفاته، وقد علّمك في كتابه، فأقبِل على الله يقبل عليك.
2) هذا العلم يحتاج إلى يقين.

الذي يحوّل العلم ليقين أن تتبصّر في تربية الله؛ لأنه يخبرك عنه ثم يعاملك بأسمائه وصفاته. يقول لك: {هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ}[1]، فإذا وقع لك مصاب في أي لحظة من أي وقت على أي حال، **لا حي لا قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم إلا الله**، وكل المحيطين بك مهما كانوا ملتصقين، أقلّ شيء يفرقهم عنك (النوم)، وكم

(1) [سورة البقرة: 255]

أمهات قتلوا أبناءهم بالنوم، نامت على ابنها فمات! فلا تقل: (أنا أحفظ أولادي) **كل من اتكل على نفسه في حفظ أبنائه خذله الله**، لا تتوكل إلا على الله.

إذا تعلّمت عنه اعلم أنه يربيك ويعاملك بأسمائه وصفاته، **فمن كانت له بصيرة فهِم أقدار الله مِن وصفه**، ومَن كان أعمى في الدنيا بقي أعمى بالدنيا والآخرة، وعندما ترى نفسك مذنبًا ويعطيك الله ليس فقط في الدنيا، بل يفتح عليك أبواب الطاعة كالحج، تفهم أنه حليم لا يعاجلهم بالعقوبة بل يفتح لهم أبواب الطاعة ليعودوا إليه تائبين، من أجل أن تزداد إيمانًا، فيزيد شعورك بالذنب فتعود إليه تائبًا، لكن الأعمى كيف يفسّر الموقف؟ ينسى ذنبه ويقول: (مادام الله وفقني للعمل الصالح فأكيد هو راضٍ عني)!

كلما زدت علمًا عن الله زدت بصيرة، ثم اعلم أنك تُربى بعدد أنفاسك، لكن هناك مَن يفهم التربية وهناك مَن يجهلها على قدر ما معه من **علم** و**توفيق الله له**، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء.

تبصّر في تربية الله، فسّرْ أحوالك التي تمرّ عليك بأسمائه وصفاته، لكن ليس على هواك، إنما بأسمائه وصفاته، وكلما زدت علمًا تبصرت أكثر **والموفَّق من وفقه الله، وإذا فَهِم تربية الله فإنه يأنس بتربيته.**

ننتقل الآن للخطوة الثالثة لتثبت كلمة (لا إله إلا الله) وتكون سببًا لرفعة الدرجات ومكانة العلم عند الله:

3.القبول.

نشرح دعاء نحن نردده دائمًا: ((رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا))[1] ما معناها؟ وعلى أساسها تفهم أن الذي يثبّت حقيقة (لا إله إلا الله) هو رضاك وقبولك له.

- **ما معنى الرضا؟**

الرضا عمل القلب، مبني على حسن الظن بالله. تصرّفات الخلق في الظاهر شرّ، فأنت لا ترضى عنها إلا إذا كنت تفهم التصرّف ومقاصدهم من ورائه، فتحسن بهم الظن وترى أنّ فعلهم حَسَن. مثال: ابنك مريض ويحتاج لشق بطن، فتذهب به بنفسك للطبيب ليشق بطنه، شق البطن لا ترضاه كفعل، لكن لأنك فاهم أن الطبيب يريد بهذا الشق مصلحته، فيقع في قلبك الرضا؛ لأنك تفهم أن وراءه شفاء، نتيجة حسن ظنك بالطبيب رضيت بهذا الشَّق.

انظر لرضاك عن الله، ماذا تعتقد حين يجري عليك من المقادير وأنت محسن الظن به؟ تعلم أنه رحيم عليم، حكيم وهّاب، لا ينقص العطاء في ملكه شيئًا، لطيف عزيز، على كل شيء قدير، قوي عزيز، **عندما يمنعك شيء يكون في قلبك مستقر: حسن الظن به؛ أنّ هذا الممنوع ما مُنع إلا لمصلحة لك**، وأقل شيء أنه **يختبر رضاك ليرفعك**، هذا من أقل المصالح وأقربها. تسأله وتسأله لكن لا يعطيك، هل يقع في قلبك شكّ في قدرته؟ أو أنه لا يسمعك؟ أو لأنك مذنب يمنعك وأنت مضطر؟ لا، حتى لو كنت مذنبًا، لو كافر دعا الله وهو مضطر يعطِه، فلا

(1) "صحيح مسلم" (كتاب الصلاة/ باب اسْتِحْبَابِ الْقَوْلِ مِثْلَ قَوْلِ الْمُؤَذِّنِ لِمَنْ سَمِعَهُ ثُمَّ يُصَلِّى عَلَى النَّبِي-صلى الله عليه وسلم-ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهَ لَهُ الْوَسِيلَةَ/ 877).

تمتنع عن اللجوء إليه في حال الاضطرار حتى لو كنت مذنبًا. بل اعلم عن ربك جيدًا؛ أنّ دعاءك ولجوءك إليه أمر يحبه-سبحانه وتعالى-فنفس دعائك نوع من أنواع التقرب إليه والعبادة، **فالدعاء بنفسه عبادة تؤجر عليها** وتتقرب إلى الله بها، فعندما تحسن الظن به-سبحانه وتعالى-ترضى عن جميع أقداره التي أوقعها عليك أو على أبنائك أو في حياتك الخاصة والعامة أو حتى تخص الأمة.

- جزء آخر مهم: **(الرضا عن شرعه)** تقبل الشرع بكل تفاصيله، لو قيل لك: (حكم الله بكذا) لا ترد حكم الله ولا بكلمة بل تقبل، ولا تنسوا أن القوم الذين ليس في قلوبهم تقوى **يجادلون**، سواء كان بعناد أو بمتابعة للمعاندين.

فمن أجل أن تثبت كلمة (لا إله إلا الله) اعلم أن الله يجري عليك الأقدار ويأمرك بشرائع ويرى رضا قلبك عنه، فإذا كنت حقيقة تعترف أن لا إله إلا هو، لا حكيم ولا خبير ولا قريب ولا لطيف ولا مجيب ولا مالك إلا هو، إذا كنت تؤمن بهذا، سترضى بهذا التقليب مهما كان وتراها على قلبك حلوة لأن رضاك عنها يقربك منه-سبحانه وتعالى-ولذلك عمر بن عبد العزيز حين تبيّن له هذا المعنى قال: "أصبحت ومالي سرور إلا مواطن القدر" لا يوجد شيء يسرني إلا ما يضعني الله فيه؛ مِن تمام رضاه عن الله.

ولله المثل الأعلى، مثلما تطالب أولادك أن يقبلوا تربيتك مهما كان فيها صعوبة، تمنعهم من كذا وتنومهم بوقت كذا، وعندك مال وأنت تمنعهم خائف من البذخ أو من أن ينحرفوا، فأنت تطلب من أبنائك الرضا بتربيتك وأنت ناقص الصفات، فكيف الغني المالك الحكيم العليم؟!

(رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا): أي أني رضيت بكل ما تقلّبني فيه يا رب سواء كان من جهة الأقدار أو من جهة الشرع أمرتني أن أفعل سأفعل وأمرتني أن أطوف حول الكعبة سبعًا سأطوف، وأمرتني أن أسعى سأسعى، وأنّ هنا الدعاء مقبول سأدعي، لا بد أن يقع في قلبك قبول كل الأوامر والنواهي، وأن تمنع عقلك من أن يعترض على شرع أو قدر، لا بد أن تلزم عتبة العبودية، ولا تعطِ نفسك أكبر من حجمها، *عطّل عقلك عن انتقاد الشرع أو القدر لكن استعمله في فهمهما*؛ ولذلك لا تقل على أي أحد ابتلي: (حرام لا يستحق!) لأنه لو كان مذنبًا نزل عليه البلاء ليطهّره، فهل تكره لأخيك الطهارة؟ وإن كان محسنًا نزل عليه البلاء ليرفعه في درجات الجنة، فهل تكره له الرفعة؟ فلا تتكلم عن أقدار الله: (لو كان كذا كان أحسن، لو كنت رجل كان فعلت كذا) سواء اعتراض على الشرع أو القدر، إذًا **إذا أردت أن تُثَبّت لا إله إلا الله لا تعامل شرعه ولا أقداره بالانتقاد.**

المشكلة أن **سياسية التربية أصبحت على الانتقاد**، لا ننكر أهمية الحوار فالحوار مفتوح ضمن الإطار والضوابط، لكن المشكلة الناس صاروا يجهلون شرع الله ويتفلسفون فيه، لا يعرف يقرأ الدليل ويتكلم في شرع الله! أو أحد عنده ثقافة جرائد ويتكلم في شرع الله! وواحد يقولون: (لو كان النبي موجود كان ما قال كذا)! كل هؤلاء أَصِم أذنيك عنهم، أضلهم الله لما قام في قلوبهم من انتقاد الشرع، فأنت عطّل عقلك عن انتقاد الشريعة والقدر، لكن مشكلتنا أنه ينفلت منا انتقاد للقدر بالذات لأنه يعصرنا ولا يطابق هوانا، فهذا الذي تحتاج أن تضبط نفسك به.

لذلك انظر من رضي عن الله كيف يرضيه الله؛ لذلك أمرت أن تردد دائمًا (رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا)، يعني يا رب أنت تربيني بشَرْعك وقدرك وأنا راض به، لكن هل حقيقة أنا قابل به؟! في الحج ليس كل شيء على هواك، يتعطل السّير، الناس يذهبوا للحرم وما يقدروا يطوفوا أو يسعوا، يحصل من الأقدار ما ليس لأحد يدّ فيه، فلا تبحث عن أحد وتُخرج عليه ما في قلبك! هذا أمر الله والله-عز وجل-هنا اختبرك بالرضا عنه، واعلم أن حياتك كلها ابتلاء واختبار{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}[1] الأربعة أو الخمسة أيام، إحدى نماذج الاختبارات، ارض عن الله تمام الرضا يقلّبك في معرفته، كلّما رضيت كلّما عرّف نفسه إليك وأظهر لك دلائل كمال صفاته، الراضي يبصّره الله أن لو ما حصل كذا كان ما حصل كذا، لكنه أحسن إليك لما حصل هذا الحدث، فأنت تقدم إليه بالرضا يرزقك بصيرةً في القدر.

- المهم وقت الأزمة: ((إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى))[2] انظر نفسك في أول لحظة، لأي درجة واقع في قلبك الرضا عنه؟ مثلًا يختبرك في هذه المرة، تتأخر (5) دقائق، ثم تتذكر، هذا تحضير لنجاح أعلى منه، المرة القادمة تصبح من أول (3) دقائق، المرة بعدها تصبح من أول ردة فعل، ما تموت إلا لما تُوفى جميع الفرص، توفاه الله أي وفّاه جميع فرص الاختبار؛ لذلك كن دائمًا مع العلم {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}[3].

العلم موجود لكن لا يوجد الانتفاع به؟

الجواب: أهم عارض للانتفاع بالعلم ما ذُكر في آية الأعراف: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ}[4] وتسأل الله الثبات: ((اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ))[5].

وصف الله الإنسان حين يكون في نعماء ثم يصيبه الضرّ: إذا وجدت نفسك **يؤوس** أي أنك في أزمة وتشعر أنها لن تُفرج و**كفور** تنسى عطاياه. مثاله الموظفين والموظفات آخر الشهر عندهم أحد الأزمات الكبرى، يحسبون ميزانية أنه حتى لو أتى بالراتب ومثله معه لن ينتهي من ديونه، مع أنك الشهر الماضي كنت مدينًا وفرج الله، كأنه لم يعاملك قبل 30 يوم! فهذا من أسوأ صفات الإنسان التي تدل على عدم رضاه عن الله. أليس في ذاكرتك من حلمه وعطائه ولطفه ما يملأ دواوين؟! لكن تنسى عطاءه وما تتذكر إلا الأحزان!

وظاهرة (الإيمو) ظهرت بين الشابات، موضوعها شعورهم بالحزن الدائم باختصار، يشعرون أنهم ليس مُنعَم عليهم، يريدون قتل أنفسهم، يستعملون التَّشريط بالأمواس، وأن آلام البدن أهون من آلام النفس! أسألك: مثل هذه

---

(1) [سورة الملك: 2]

(2) متفق عليه "صحيح البخاري" (كتاب الجنائز/ باب زيارة القبور/1283) ، "صحيح مسلم" (كتاب الجنائز/ باب فِي الصَّبْرِ عَلَى الْمُصِيبَةِ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى/ 2178).

(3) [سورة الذاريات: 55]

(4) [سورة الأعراف: 175-176]

(5) رواه أحمد في مسنده، وأبو داود والنسائي في سننهما، وغيرهم. وصححه الألباني.

الظاهرة تظهر في العالم الإسلامي وبين الشباب لماذا؟ لا يوجد عندهم حسن ظن بالله، كلمتان (**يؤوس، كفور**).

يؤوس: لا يرجو أن يفرج الله عليه الكربة، **كفور**: ينسى النعم. وهذا الوصف يؤدي لمثل هذه الأحوال.

هؤلاء فيهم صنفان:

1. **كذابون مقلدون.**
2. **حقيقة واقعون تحت البلاء.**

في النهاية، الحلّ أن نمتلئ نحن الكبار بحسن الظن بالله حتى نبثه في كلامنا، مشكلتنا نحن الكبار ليس عندنا حسن ظن! عندما تمتلئ علمًا عن الله ستبثّه في أنفاسك، **فالجهل عن الله وعدم اليقين بأسمائه وصفاته أدى لعدم القبول لقضائه وقدره** وحتى وجوده في الحياة، كأنهم لا يعلمون أن وراء صلاحهم تلك الجنة التي يشتهيها العبد.

لو قلت: (أنا يائس من الفرج لأني مذنب) نقول: (بيدك المفتاح، تُب ليفرج الله عليك). نفترض جدلًا أنها لن تفرج عليك لأنك مذنب، تُب ليفرج عليك، باب الحل مفتوح.

كل الآلام في الدنيا لابد تزول وتتغير الأحوال، لكن:

شخص يخرج ناجح

وشخص يخرج فاشل

الله يفرج الكرب لكن ناس يأتي عليهم الكرب فيخرجوا **متعلقين بالله**، وناس يخرجون **متعلقين بغيره يائسين من روحه**، فتغيير الحال ليس شرطًا، التفريج له كربة، إما تزول الكربة أو أزول عنها أنا، مثلًا مديرتي سيئة-بتعبيرنا-، إما هي تتغير أو أنا أتغير، هي تذهب مكانًا ثانيًا أو أنا أذهب، **التفريج له أشكال لكن في النهاية لابد أن تنفرج**، لكن مَن يخرج متعلقًا بالله ومَن يخرج متعلقًا بغيره؟ هنا الفوارق.

اتفقنا على شرط العلم واليقين والقبول. نأتي الآن إلى:

الانقياد.

بعدما رضيت بالله ربًا لابدّ أن تحقق انقيادك للشريعة؛ ولذلك التلبية تقول فيها: (لبيك اللهم لبيك) أي:

- استجابة بعد استجابة، منقادًا فيها (لبيك): مِن: أخذ بتلابيبه.
- وأيضًا مِن المحبة، (امرأة لبى): أي تحب أبناءها.
- ولها أيضًا معانٍ أخرى، مِن لُبّ الشيء أي الإخلاص.

فلبيك أعلن فيها أني منقاد للشريعة. **ما معنى منقاد للشريعة؟** أنها أمامك وأنت تابع لها، المنقاد يجد في نفسه بحث عن تفاصيل رضا الله، وأنت تأكل تسأل: ما الذي يرضي الله في حالي الآن؟ ((إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا))[1].

(1) "صحيح مسلم" (كتاب الذكر والدعاء والتوبة/ باب اسْتِحْبَابِ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ/ 7108).

من أسباب ثبات (لا إله إلا الله): (**العلم**) قال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ}[1]، مِن أجل أن يُرفع لك الاستغفار لابدّ أن يكون مبنيًا على أصل ثابت. تعلّم عن الله ليثبت في قلبك أن لا أحد يستحق التعلّق والتعظيم إلا الله، لكن هذا العلم قد يمرّ ولا ينفعك، فتحتاج ليقين ليتحرك قلبك إليه ذلًا وانكسارًا، لا صمد لك إلا هو، العباد لا يصمدون إلا لمن يعتقدون أنه كامل الصفات، ولا كامل حقيقة إلا الله، أما الإنسان فقيل في وصفه: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (1) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}[2]،{وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا}[3]، فأنت ومن تعتقد من الخلق أنهم ينفعونك كلهم على حدّ سواء فقراء، لا يستحقون أن تتعلّق بهم، ولا تتعلّق بنفسك: {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ} مثل قارون في سورة القصص، عندما تمكّن من قلبه الكبر خسف الله به، عندما خرج على قومه في زينته:

- قسم اغتروا به، وهذا أكثر حال الناس، يغترون بما يملك غيرهم، إذا تطوّر شخص في الطب تعلّقوا بالأطباء.
- الصنف الثاني: الذين أوتوا العلم، عرفوا حقيقة المسألة.

ثمّ الذي في قلبه كبر خسف الله به، **والذين استحسنوا حاله عاملهم الله بحلمه وأراهم من الآيات ما يسبب لهم اليقين** أنه مهما كثر المال ومهما حصل من القوة التي تغرك، هزة بسيطة في الأرض تسقط عليك الأمر من أوله لآخره، وزاد الذين أوتوا العلم يقينا؛ لذلك هم يقولون: {وَيْكَأَنَّ اللَّهَ}[4] تبيّن لهم أن الله لا يمكن أن يكون عطاؤه لمثل هذا الشخص رضًا فلا تغتر.

انظر لهذا المقصود أيضًا عند يعقوب-عليه السلام-بقي (30) عامًا ينتظر ابنه، قال: {إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[5] ليس مجرد علم، بل علم يقيني؛ لذلك قال لأبنائه: {اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ}[6].

ماذا سيكون حالك عندما تتيقَّن؟

ستعامل الله بحسن الظن، وانظر كيف أحسن الظن يعقوب-عليه السلام-وانتظر عطاء الله (30) سنة وينصح أولاده: {وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ} وانظر لهؤلاء الذين اغتروا بقارون فعاملهم الله بحلمه فأراهم الله بأعينهم ما يزيدهم بيانًا أن لا ينفع إلا الله، وزاد الذين أوتوا العلم يقينًا بما تعلمونه عن الله. هذه مجرد أخبار، تصبح يقينًا حين يشهدك الله عليها، فأشهد يعقوب بما يزيده يقينًا، وأشهد الذين أوتوا العلم، ويعقوب عنده:

علم ويقين وصبر؛ فزاد يقينًا.

كذلك الذين أوتوا العلم كانوا متيقنين، أتاهم موقف زادهم يقينًا.

---

(1) [سورة محمد: 19]
(2) [سورة الإنسان: 1-2]
(3) [سورة النساء: 28]
(4) [سورة القصص: 82]
(5) [سورة يوسف: 86]
(6) [سورة يوسف: 87]

وانظروا إلى أم موسى كيف كان قلبها؟ {إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ}[1] قيل لها من يقينها بالله: عندما تخافين ألقيه في اليم، إذا لم يكن في قلبها يقين لما كانت ألقته، فجعل إلقاءه سببًا لعوده من البر آمنًا. فهذه كلها أحوال يشهدك الله عليها، لكن متى؟ عندما تتعلم ويكون عندك طمأنينة عن الله فيزيدك طمأنينة ويقينًا به، تكون مواقف بسيطة ثم تكبر فيزداد يقينك بها، وكلما زدت إيمانًا كلَّما رفعك الدرجة الأعلى ضُيّق عليك حتى الكل يقول: (خُذ قرضًا ربويًّا أنت مضطر) وأنت تزداد يقينًا أنه لا يمكن أن يبارك لك وأنت تخالفه، ولا يمكن أن تطلب السعة بالربا، وأنت متأكد أنه سيفرجها، وتقطع آمالك من كل أحد، فتُفرَج عليك من أبواب عدة. حتى أنه-سبحانه وتعالى- مِن عظيم كرمه أنه لا يفرجها من باب واحد بل أبواب عدة، وهذا يجعل العامة يقولون: (إما لا يوجد شيء أو كل شيء وقت واحد!) فهذا من جهلنا عن الله.

عامل الله بحسن الظن، ترجم تربية الله لك، لكن **مشكلتنا أننا أمّيون لا نعرف قراءة أفعاله-سبحانه وتعالى-**، فهو يعاملنا بأسمائه وصفاته ويزيدنا نقطة في اليقين، لكن الجهل والتعلّق بالدنيا والخلود إليها يجعل قلوبنا مصروفة عن بابه.

أقبل على الله؛ يقبل عليك بأبواب الرزق بالعلم وهو من أعظم الأرزاق، ثم يشهدك على صدق استحقاقه للألوهية، يريك من عجائب قدرته في لطائف أقداره لو كانت لك بصيرة.

واليقين أدلته كثيرة، من بينها: ((من قال لا إله إلا الله موقنا بها دخل الجنة))[2]؛ ولذلك سيد الاستغفار: ((اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ))[3] لن ينفعك إلا إذا قلته موقنًا به، فاليقين درجة مهمة، تتيقن أنك عبد ذليل لربك وتعترف بنعمه: ((أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ))، وأعلم أنه في مقابل النعم لم يقع مني ما يجب علي من الشكر.

فنحن تحولنا للقبول، وحتى تتذكره استعمل: ((رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا))، راض عن ربه وتقليبه له في أقداره وشرعه، يقال لك: (النهار في عرفة والليل في مزدلفة، أول يوم ترمي 7 جمرات، وهنا الدعاء) وأنت تتقلب راضٍ عن ربك، لا تحرك لسان الانتقاد؛ لأنه لا يأتي إلا من جاهل لا يعرف كمال صفات ربه، (فَرَدّ الشريعة) أي: انتقدها، يقول: (لماذا 7 جمرات؟ لا بد أن تعلّلوا لي؟ لماذا لا ندعي في الجمرة الكبرى؟ لماذا نطوف 7 ونسعى 7؟) والانتقادات على الميراث: (لماذا تأخذ المرأة نصف الرجل؟ لماذا على المرأة أن تتحجب وتغطي وجهها والرجل لا يغطي وجهه؟) اعتراض حتى على خلق الله: (لماذا المرأة تحمل والرجل لا؟) ليس فقط لا يوجد دين بل حتى العقل؛ من أجل ذلك لابدّ أن يكون سؤالك **سؤال المنكسر الذليل**، فأول الأمر عندما تأتيك الشريعة اقبلها كما هي، اسأل

---

(1) [سورة القصص: 10]

(2) الراوي :معاذ بن جبل المحدث :البوصيري -المصدر :إتحاف الخيرة المهرة-الصفحة أو الرقم6/421 :خلاصة حكم المحدث :إسناده صحيح، وله شاهد

(3) "صحيح البخاري" (كتاب الدعوات/ باب أَفْضَلِ الِاسْتِغْفَارِ/ 6306).

سؤال الشخص الذليل: هل ورد في تخصيص السبعة حكمة ظاهرة لنا أم أمر توقيفي؟ الجواب: توقيفي ووراؤه كله حكمة لكنه أظهر لك شيء.

انظري لأولادنا عندما يكلمونا، نقول: (لن نخرج اليوم) فعندما يتطاول في السؤال يسأل: (لماذا لن نخرج) من حقه، لكن هناك من يسأل بأدب ومنهم من يسأل بسوء أدب، فالفرق بين المؤمنين والمنافقين حال خروجهم من مجلس الرسول: {مَاذَا قَالَ آنِفًا}[1] يقولون للذين أوتوا العلم، وهم كانوا في المجلس! سؤال استكبار وعناد واستهزاء، لابدّ أن يكون في قلبك انكسارًا يوافقه لسانك؛ لذلك أمرنا الله في الحجرات أن لا نتقدم بين يدي الله ورسوله.

الانقياد: تكون الشريعة أمامك وأنت تابع لها، الشريعة وصفت لك تفاصيل الحياة وعمل القلب، لا يوجد موطن تعيشه وتمرّ به ولم يُقلْ لك ماذا تفعل فيه؟ لا شيء في حياتك لم تصف الشريعة ماذا تفعل، لكن الفوارق بين الناس العلم والجهل.

مثال: أنعم الله علينا بالمطر، هل نُخرج أولادنا للمطر أم لا؟ عندما تسمعين ما أورده البخاري في الأدب المفرد وصحيح مسلم قَالَ أَنَسٌ: أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى الله عليه وسلَّم-مَطَرٌ قَالَ فَحَسَرَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى الله عليه وسلَّم-ثَوْبَهُ حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: ((لأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى))[2] وصف لك المطر أنه حديث عهد وأن النبي كشف له جزء من بدنه، فتفهم ماذا يجب عليك أن تفعل، وهذا كله حسب الأحوال، لكن المقصد أنه لن يغيب شيء من تفاصيل في حياتك إلا وفي الشريعة ما يقابلها.

ومن الكتب التي ننصح بها طالب العلم (الأدب المفرد) أو (صحيح الأدب المفرد) فيه تفاصيل التفاصيل من النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-مثلًا: لو قلت: السلام عليكم وقلتم (عليكم السلام، مرحبا) هل هذا صح أو خطأ؟ تقول عائشة رضي الله عنها: "أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((مَرْحَبًا بِابْنَتِي))[3] فأصبحت (مرحبًا) تصحّ بعد رد السّلام لأن النبي ثبت أنه قال لفاطمة، فلا تتصوّر أن جزءً من حياتك خالية من الشريعة، مهما طِرت في السماء، انتقل بكل سهولة الناس للأماكن، كل هذا الشريعة أتت توافقه، يعني لا تتعذر بأني لا أستطيع أن أنقاد لأن الشريعة ما أتت، لا يقول هذا إلا منافق أو جاهل، فاحذروا من مجادل يتابع رأس المجادلة، أو مجادل هو رأس، ومن يعبد الله على حرف؛ لأن أكثر أسباب بُعد العالم الإسلامي عن التوحيد والدين والاستقامة أن رؤوسًا برزوا وهم قوم مجادلون، لا يخرج أحد إلا ومعه آية يجادل بها، ولا تستطيع أن ترد فتَشُك في الحق! فاجعل (لا إله إلا الله) والتوحيد هو رأس مقصدك، واعلم أنه هو الذي يثبت شجرة الإيمان في قلبك وبسببه تُرفع الأعمال، مستحيل بعدما يرسل الله رسوله بالتوحيد

---

(1) [سورة محمد: 16]

(2) "صحيح مسلم" (كتاب صلاة الاستسقاء/ باب الدُّعَاءِ فِي الِاسْتِسْقَاءِ/ 2120).

(3) "صحيح البخاري" (كتاب المناقب/ باب علامات النبوة في الإسلام/ 3623).

ويأمرك أن لا تعظم أو تتعلق إلا به، يأتيك دليل يقول لك: عظّم غير الله أو تعلّق بغير الله أو اذبح لغير الله! كل هذه شبهات ادفعه عنك حتى لو لم تعرف تجادل الناس بالتفصيل تشبّث بالحق الذي معك.

إذًا الانقياد: أنه يرى الشريعة كمَّلت حياته، من تأليهه لله يرى أن شرعه كامل وإذا رأى نقصًا فهو فيه، وقد يشتبه عليك شيء في الشريعة فهذا اختبار وابتلاء، قال تعالى في وصف كتابه: {مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ}[1]. نضرب مثالًا: الآن تقرأ آية صريحة يقول فيها الله: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ}[2] فيأتي مَن في قلبه زيغ وإرادة بالتعلق بالنبي وسؤاله ويقول: ورد في الحديث أن النبي تُردّ روحه فيرُد السّلام على من سلَّم عليه فمعناه أن النبي حيّ! نقول: (كيف ترد دليلًا محكمًا يقال فيه أنه ميت وتأتي لدليل تؤوّل عليه بمجموعة تأويلات ثم تخرج بنتيجة أنه حي؟! ثم تقول: بما أنه حي إذًا أكتب له وأرمي له؟! وأتعلق به وأطلبه وأستغيث به، والله يقول لرسوله: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ}[3] ويقول الله في وصف نفسه-ولابد من حفظ هذا الدليل تمامًا-: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ} فماذا تفعل بالنبي؟ موطن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-أن تهتدي به إلى الله، ترى كيف تطلب الله وتدعوه وتسأله؛ ولذلك أنت تشهد أن لا إله إلا الله أي: لا أحد أتعلق به وأعظِّمه وأعتقد أنه كامل الصفات، حي لا يموت، قيوم لا ينام، ثم أشهد أن محمد-صلى الله عليه وسلم-يهديني إلى الله، لكن لا يقع في قلبي أن الرسول حي لا يموت وقيوم لا ينام! لا حيّ إطلاقًا إلا الله ولا قيّوم إطلاقًا إلا الله، فهذا يجعلك توقن بأنه لا كاشف للضر إلا الله، لكن تجد بعضهم يترك المحكم ويأتي للمتشابه!

ثم اعلم أن حياة النبي-صلى الله عليه وسلم-في البرزخ غير حياته في الحياة، حياته في الحياة يكلم الناس ويخاطبهم، أما الحياة البرزخية كلها أمر غير معلوم، لو سألت الجنين في بطن أمه: (هل تصورت في الخارج عالم هكذا حالهم ويأكلون بملاعقهم ويشربون في كؤوسهم؟) لا يتصور هذا، سيخرج إلى عالم عجيب، كذلك الحياة التي تخرج منها إلى حياة ما فيها إلا الانفراد، ثم روضة من رياض الجنة-نسأل الله من فضله-فلا يأتِ أحد يضحك عليك؛ لأن هذا ضد الانقياد.

فمعنى أن تنقاد لـ (لا إله إلا الله) أي: لا تعظّم ولا تتعلّق ولا تطلب صمدًا تلجأ إليه إلا الله، ثم تعلم أن كل الشريعة تدفعك لنفس الباب (باب التعلق به والانكسار بين يديه والذل له-سبحانه وتعالى-) لا يمكن أن تتناقض الشريعة لا يمكن أن تؤمن أن توحد الله وتسأله وحده ثم يأمرك أن تسأل النبي وتطلبه، لا يمكن، فالمطلوب منك أن تفهم أن الشريعة كلها تدفعك لباب الانكسار بين يديه، **واحذر أن تنقاد ببدنك ولا تنقاد بقلبك؛** ولذلك أتى بعد الانقياد شرطان من أصعب الشروط: **(الصدق والإخلاص)**، لابد أن أفعل ما أمرني به وأنا صادق في ذلك مخلص.

---

(1) [سورة آل عمران: 7]

(2) [سورة الزمر: 30]

(3) [سورة الزمر: 65]

الصدق من أصعب الشروط ودقة في فهمها، أمر الله رسوله أن يدخله مدخل صدق وأن يخرجه مخرج صدق في سورة الإسراء: {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ}[1] انظر للسياق قبله: {أَقِمِ الصَّلَاةَ} هذه كلها أوامر يجب عليك أن تنقاد إليها، ثم: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ}[2] أوامر، وبعد هذه الأعمال تطلب: {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا}.

وأنت منقاد لابدّ أن تكون صادقًا، ولاحظ أنّ الصدق دار حول مدخلك ومخرجك، سنضرب مثالًا للحج: (مدخلك ومخرجك) أي: بواعثك للدخول والخروج، ما الذي يحركك؟ هل تطلب رضا الله أم اعتدت أن تذهب وتعود في موسم الحج؟ نحن نحتاج لتحرير قوي خصوصًا أهل مكة وجدة فهم قريبون من الحرم وكل سنة يحجون فاعتادوا على الذهاب والعودة، فما الذي يخرجك وما الذي يدخلك؟ هل تريد رضا الله؟ ويمكن أن يشعر أهل القريبين من الحرم كأن حجيجهم خارجون لرحلة! ما الذي حرّك في قلبك الخروج للطاعة؟ ما الذي حرّك في قلبك الوصول لهذه الأماكن المقدسة؟ هل أنت مشتاق لرضاه؟ إذا كنت مشتاق إلى رضاه حرّر دخولك وخروجك، تقول: (أريد أن أصلي التراويح في المسجد في رمضان) تريد أن تجمع قلبك في المسجد وتجد روحانية من قراءة الإمام، ثاني يوم وجدت أصحابك وجماعتك وبقوا يثنون عليك وأنت تقول: (أنا كل سنة أصلي وإلى آخره)، بعد غد: ما الذي أخرجك؟ هل أخرجتك الجماعة أو إرادة وجه الله؟ الباعث الذي حركك وحمّسك؛ لذلك بعدما أمر الله نبيه بهذه الأوامر-أمر للنبي فما بالك نحن؟!-أمر النبي أن يسأل أن يجعل مدخله صدق ومخرجه صدق.

وانظر للنبي-صلى الله عليه وسلم-وقريش لما خرجوا لأُحُد، النبي خرج صادقًا مريدًا لوجه الله، وقريش خرجت **تريد البطر**، فالنبي خرج مخرج صدق وقريش خرجت **مخرج كذب**، والعبد بين الصدق والإخلاص، الصدق هو الذي يحركك أن تسجل اسمك في الحملة مثلًا، الإخلاص وقت ما تأتي في تفاصيل العبادة، وقت ما تطوف وتسعى، لكن الصدق هو الذي حركك للخروج إلى طاعة الله، وهذا الفاصل بين المنافقين والمؤمنين، أهل الإيمان صادقين في أن الذي يحركهم في الأعمال هو إرادة رضا الله، وأهل النفاق يتحركون لحاجة الأمن أو الاحترام مثلًا، لحاجات في نفوسهم، فالذي حرّكه لهذا الحال ليس رضا الله لكن من أجل هوى في نفسه.

أضرب مثالًا بعيدًا عن النفاق والإيمان حتى تتصور الصدق والكذب في الحياة العامة: موعدك للنوم الساعة 9:30، ابنتك تدرس والثانية تطالبك بتنفيذ القانون وإطفاء النور وهي ليس في عينها نعاس، لكن لماذا تطالِب بالقانون؟ نكاية في الثانية! تطالب في شيء في ظاهره صواب لكن في باطنه كذب، هي لا تريد أن تنام ولا شيء لكن تريد أن تعاند أختها، فأنت تأتي بصورة صحيحة لكن الذي حركك لهذه الصورة ليس إرادة الحق.

مثال: في قلبك شيء على شخص ثم رأيته أخطأ فيقع في قلبك فرح أنه أخطأ وتريد أن تنصحه وتبحث عن نصوص وآيات لتشفي في قلبك الشماتة، وتقول: (والله أريد أن أنصحك)! أحيانًا نكذب على أنفسنا لدرجة أن نصدّق أنفسنا! قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ

(1) [سورة الإسراء: 80]

(2) [سورة الإسراء: 79-80]

الْخِصَامِ}[1]، **مثال آخر**: زوجها يريد أن يعزم ويفعل وضيوف فتقول: {إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ}[2] لكن عندما يأتوا ضيوفها تقول: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ))[3] نتلاعب بالنصوص على أساس هوانا! تأتي للشريعة تحفظها حفظًا وتفهمها فهمًا ثم تستعمل كل الأدلة على مرادك، هذا الكذب؛ لذلك كل شخص يدّعي لا يتركه الله، قال تعالى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}[4].

فمشكلة الكذب أنه من كثرة ما تمرسه صدّق نفسه لدرجة أنه لا يفيق، لا يستيقظ! لذلك ذكرنا آية الحديد وكيف أنه يمشي مع المؤمنين إلى أن صدّق نفسه، وانظر لأول سورة العنكبوت، قال تعالى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا} يقولون: (نحن مؤمنون، متقون، نخشى الله) يعتقدون أنهم لو ادّعوا مشوا في الطريق، يرد الله–عز وجل–عليهم أنه لابد أن تفتن: {فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}[5] علم الظهور–يظهر لك أنت وتتحاسب عليه–، وانظر آية (11): {وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ}[6] قابل آية (11) بآية (3)، الذين صدقوا هم المؤمنون والذين كذبوا هم المنافقون.

وانظر لآية (10): {فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ}[7] تقول: (أريد أن أنشر التوحيد وأعلّم الناس) فيختبرك الله، تأتيك أذية من الناس، فاحذر أن تجعل فتنة الناس أي أذيتهم كخوفك من عذاب الله فتسقط، يعني تعلمت التوحيد، مسؤولية عليك أن تُعلمّه، فأوذيت، أغلقت على نفسك الباب! سيعذبك الله؛ لأن **كتمان العلم ذنب من الذنوب**، جعلت فتنة الناس كعذاب الله فتركت تعليم الناس أو التَفَت لمن آذاك وتحاول أن ترد فانشغلت عمّا كلفك الله من العلم، ستدّعي أن الذي أخرجك لتعلّم الناس إرادة وجه الله، ستأتيك أذية تكون هي الامتحان: {وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ} لأن الذي يجعل فتنة الناس كعذاب الله، ويحارب الناس ويضاربهم معناه أنه ما أراد وجه الله، فالذي ينسى العلم والتوكل على الله معناها أنه ما خرج صدقًا بل كاذبًا، بدليل أنه لما اختبر رسب وبان كذبه.

في آخر آية في سورة العنكبوت قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}[8] حتى يكون مخرجك صدق لابد أن تكون منك مجاهدة، تسأل نفسك: ما الذي جعلك تكلم الناس؟ تتصدق بكذا؟ مخارجك لابد أن تحرر فيها صدقك من كذبك، الذي بعثك على القيام بالحق، فكلمة (لا إله إلا الله) تجعلك تعلم أن الله مطلع على ما في قلبك، لابد أن تُختبر وتظهر الحقيقة.

---

(1) [سورة البقرة: 204]

(2) [سورة الإسراء: 27]

(3) "صحيح البخاري" (كتاب الأدب/ باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره/ 6018).

(4) [سورة العنكبوت: 2]

(5) [سورة العنكبوت: 3]

(6) [سورة العنكبوت: 11]

(7) [سورة العنكبوت: 10]

(8) [سورة العنكبوت: 69]

موقف يحكيه أحد طلاب العلم الكبار: كان في المسعى أيام الحج أو العمرة ورأى امرأة كبيرة في السن تمشي فوقع في قلبه إعانتها، فطلب من أحد العاملين أن يساعدها، فلما أتى به إليها قالت: (شكرًا لك يا رب أنت الذي أعطيتني) ما التفتت إليه! أنت الذي دفعت المال وفي الزحام وهذا أمر صعب وهي ما التفتت لك ولا اعتبرتك شيء! هنا اختبار بسيط، ماذا تريد؟ أنت قلت لنفسك إن هذا لله ثم ذهبت ووجدت هذا الفعل، فلابدّ أن تعلم أن الله يختبرك، ما دمت تدّعي؛ إذًا لابد أن تأتيك اختبارات في الطريق، وأهم شيء عندما تأخذ نتيجتك وتقرؤها، إذا رسبت؛ تتوب وتسأل الله الصدق وتفهم أن هذه النية معناها فاسد.

وأكثر من يفتن بهذا الأمر **مَن يدّعي الاستقامة**، نفترض أني في جمعية (أ) وأنت (ب) وكلنا ننشر التوحيد، ثم في البرنامج أخبئ شغلي عنك، المفترض أني أريد أن أنشر التوحيد فأنسخ لك شغلي وأقول لك: (علّم الناس). يأتيك الاختبار: هل تريد أن تتميز وتظهر؟ ومشكلة الجمعيات أنهم يقولون: (طبيعي أنا اشتغلت والمفترض أن أتميز) هل أنت تريد نشر الدين أم التميز على الناس وأن يقولوا: (والله ما نشر التوحيد إلا فلان)؟

يقول العلماء أن **الرياسة آخر الأمراض خروجًا من القلب**، شديدة الخفاء، مثلًا ذهبت في حملة وأتعبوا أنفسهم ثم قالوا لك: (أتينا بمن تحاضر غيرك، حُجي أنتِ) هل أسحب المايكروفون منها؟ أو أجمع الناس من ورائها وأتركها؟ للأسف هذا واقع وأليم، الذي هو خارج المكان يفهم أنه رسوب أما الذي داخل المكان فعنده أعذار مع أدلة عليها! أهل الاستقامة أكثر ناس يُبتلوا في صدقهم.

إذًا الصدق هو الباعث، أي تحرّكك قبل قيامك بالعمل، ذهابك للمسجد لصلاة التراويح هذه حركة قبل دخولك في الصلاة، نسميها (الباعث).

نضرب مثالًا عليه: الآن اثنين جيران، الجارة التي فوق أحسن من التي تحت في كل شيء في أمور الدنيا وفي تعليمها، لكن التي تحت أفضل من التي فوق في حفظ القرآن، فذهبت التي فوق إلى مدرسة تحفيظ وتحفظ لتكون أحسن من جارتها! هذا الباعث الذي بعثها على الحركة، وفي وسط الحفظ تقول: (رب انفعني بما أحفظه)! عاشت أنها مخلصة، صدّقت نفسها! ليس العلاج أن تقطع، بل تصحح النية لأنك ستُختبر، تأتيك ورقة راسب، وفلانة أقل منك ناجحة فتأتي تعملين مشكلة، فنقول: (هذه عند أهل الدنيا)، تقول: (المفترض أن تقدروا جهودي) أنت تريدين تقدير الجهود أو أن الله يقبل منك؟ وانظر آخر السنة، كبار يبكون أن أحدهم أخذ جيد والآخر ممتاز! الذي يقرأ القرآن وهو يتعتع فيه له أجران عند الله، هل ممتاز هي التي تهمك؟! وكلّما زادت الحضارة والتمييزات كلّما التفتت نفوسنا لهذه التمييزات حتى في تربيتنا.

وقد قال تعالى: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا}[1] اذهبوا لتفسير ابن كثير في تفسير هذه الآية، نقل ابن كثير عن علي بن أبي طالب قال: "إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك صاحبه، فيدخل في قوله: {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ

(1) [سورة القصص: 83]

لِلْمُتَّقِينَ}[1] تقول إني أريد أن أتجمل، **تجمّل لكن لا تشعر أنك تريد أن تكون أحسن من أحد**، قال رسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))[2] هذه المشاعر الدقيقة وُصِفَت في الشريعة بكل دقة لكن المشكلة بصيرتنا غير واضحة، فقارون تكبر وأراد العلو فذرة من الكبر كافية فقط، وللأسف عند النساء مشكلة الكبر عظيمة، خصوصًا عندما تلبس وداخل مشاعرها: (لا أحد مثلي) مصيبة هذه المشاعر! لا أحد يقول لك إنها طبيعية، هذه ممنوعة في قلبك.

فالصدق هو: تحرير البواعث التي بعثتك للقيام بالعمل.

نمر على الشرطين الباقيين:

5. **الإخلاص.**

أمرت أن تعبد الله مخلصًا له الدين، أي لا يلتفت قلبك لغير الله تطلب منه الأجر، وقت ما تقوم بالعمل لا يلتفت قلبك لأحد غير الله تطلب منه الرضا والشكر.

انظر لأوصاف هؤلاء المخلصين في سورة الإنسان، نبدأ من آية (5)، وصفهم الله بأنهم الأبرار، قال تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا} إلى أن وصلنا{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا}[3] معنى ذلك أن المخلص وقتما يقوم بالعمل لا يلتفت قلبه لطلب رضا غير الله، ولا يريد أن يعامله أحد بالشكر إلا الشكور-سبحانه وتعالى-ولا أن يجازيه أحد إلا الله، ويحملون في قلوبهم أيضًا مشاعر قوية من الخوف، يقولون: {إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا}[4]، فالمخلص لا يريد جزاءً ولا أجرًا على عمله إلا من الله، ويعلم أن الشكر الحقيقي شكر الله، أما الناس فلا شيء، لا يوزن ثناء الناس في قلبه أي شيء، هذا أولًا.

ثانيا: ما الذي يجعل ثناء الناس ليس له قيمة؟ لأنه يخاف من شيء لن ينفعه الناس فيه، إذا أثنى عليه الناس فلن ينفعوه في دفع شر قد يقع عليه يوم القيامة: {إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا}.

هل أنت صحيح يا معلّم خرجت لتعلم الناس التوحيد؟ أو لتبرز؟ أو لتتاجر؟ أو لتغطي في نفسك هوى؟ هذا من جهة الباعث، ثم تقوم بالعمل ويأتيك ممن أمامك ثناء، فهل سيغرك ثناؤهم وتوزنه؟ أو كل الذي يهمك ثناء الله

---

(1) قال ابن كثير في تفسيره : "قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا أبي عن أشعث السمان عن أبي سلام الأعرج عن علي قال: إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك نعل صاحبه، فيدخل في قوله تعالى: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفخر والتطاول على غيره، فإن ذلك مذموم، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إنه أوحي إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد" وأما إذا أحب ذلك لمجرد التجمل، فهذا لا بأس به، فقد ثبت أن رجلًا قال: يا رسول الله إني أحب أن يكون ردائي حسنًا ونعلي حسنة، أفمن الكبر ذلك؟ فقال: "لا، إن الله جميل يحب الجمال".

(2) "صحيح البخاري" (كتاب الإيمان/ بَابٌ مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ/ 13).

(3) [سورة الإنسان: 9]

(4) [سورة الإنسان: 5-10]

عليك حتى لو ذمك الناس؟ هل الذي تحمل همه يوم القيامة وأن ثناء الناس لن يوزن شيء أو إنما يحركك إلى الله خوفك من هذا اليوم العبوس القمطرير؟

انظر ماذا قال الله لهم: {فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا}[1]، ما لقّى أي شخص نضرة وسرورًا إنما الذين قالوا: {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا} وأنت **تُختبر بمن يشكرك**، وهذه من أشد الاختبارات لأن النفس تطرب بالثناء، والنفس تسْكر بالثناء، بالذات النساء يغرهن الثناء حتى أننا نستحث الذي أمامنا أن يشكرنا!

انتبه! يا مَن تُقدم بالذات الخدمات التي تتصل بالدين، انتبه أن تُقدم الخدمة وتنتظر الشكر، سُدّ أذنيك عن الشكر-وهذا كان فعل السلف-**واسْأله سبحانه أن لا يجعل نصيبك من الشكر ثناء الناس وتقدم على الله ولا شيء لك**.

في المقابل أمرت بشكر الناس، قال رسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((مَنْ لاَ يَشْكُرِ النَّاسَ لاَ يَشْكُرِ اللَّهَ))[2] لكن **نُهيت عن المدح** لأن الإفراط فيه يُمرض الذي أمامك، النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-قال: ((احْثُوا فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ))[3] كأنك تعطي الذي أثنيت عليه سُمّا، فهل هذا جزاء من أحسن إليك؟ والمشكلة أننا نرى أن كثرة الثناء من الذوق! تُشرب من تُسمع هذا الكلام سُمّا يُمرضه، وهذا الفرق بينه وبين الشكر الذي يكون باللسان، أما الوجدان فممتلئ شكرًا لله.

6. المحبة.

محبة الله ومحبة ما يحب الله، حتى تثبت كلمة (لا إله إلا الله) في قلبك لابد أن تحب الله وتحب ما يحب الله، وانظر لنفسك عندما تقرأ في كتاب الله، أخبرَكَ ماذا يحب: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}[4]، {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[5] لابد أن تحفظها حفظًا، تفعل ما يحبه لأنك تحبه، وكلنا متفقون أن الذي يحب يفعل ما يحب محبوبه، فأول أمر: أن تبحث عن كل ما يرضيه وتُظهِر له حقيقة أنك تحبه، ثم من أعظم الحب أن ترى من نعمائه عليك أنه ما جعلك عبدًا لأحد غيره؛ لأنك تعلم كمال صفاته وكيف لما جعلك عبدًا له عاملك بلطفه ورحمته إلى آخر ما تعلم من صفاته، تحمده أنه لم يجعلك عبدًا لغيره يذلّك، والله لما وصف المؤمنين وقارنهم بالمشركين الذين يحبون أندادهم قال: {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}[6] لأنهم يرون آثار الربوبية والرحمة في حياتهم فتزداد قلوبهم محبة له.

جزاكم الله خيرًا

---

(1) [سورة الإنسان: 11]

(2) "سنن الترمذي" (كتاب البر والصلة/ باب مَا جَاءَ فِي الشُّكْرِ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ/ 2081) وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(3) رواه أحمد في مسنده وصححه الألباني.

(4) [سورة آل عمران: 76]

(5) [سورة البقرة: 195]

(6) [سورة البقرة: 165]

السلام عليكم ورحمة الله

انتهى اللقاء